

المحاضرة الاولى في العقيدة: الأصول الثلاثة

يوم الخميس الموافق 5-7-2018

بشرح فضيلة الشيخ الاستاذ الدكتور/ طلعت زهران- حفظه الله
الدورة النسائية -مصر- الاسكندرية - العصابة - جامع الامام مسلم

ثلاثة الأصول

الأصل في اللغة ما يُبنى عليه غيره، وفي الاصطلاح: ما له فرعٌ.

الأصل الأول: معرفة الله.

الأصل الثاني: معرفة الدين ومراتبه الثلاث.

والأصل الثالث: معرفة النبي - صلى الله عليه وسلم - وشيئ من سيرته باختصار شديد.

بسم الله الرحمن الرحيم

البداة بالبسملة للتبرك والاستعانة على ما يهتم به.

قال الحافظ بن حجر، رحمه الله تعالى: وقد استقر عمل الأئمة المصنفين على افتتاح كتب العلم بالتسمية، وكذا معظم كتب الرسائل، فقد كان من عادة النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أرسل رسالةً إلى ملكٍ من الملوك أو نحوه افتتحها بـ "بسم الله الرحمن الرحيم".

اعلم رحمك الله أنه يجب علينا تعلم أربع مسائل:

(اعْلَمْ) أمر بتحصيل العلم، لكي ينتبه السامع أو الطالب إلى ما بعده (رَحِمَكَ اللَّهُ) هذا من عادة المصنف، رحمه الله تعالى، أن يأتي بمثل هذه العبارات التي فيها دعاء للطالب أو للقارئ، وهذا فيه تلطف من المصنف، وتنبيه إلى أن مبنى العلم هو التلطف والرحمة بالمتعلم.

وهذه الجملة (رَحِمَكَ اللَّهُ) فعل وفاعل ومفعول به يعني: غفر اللهم لك ما مضى من ذنوبك ووفقك وعصمك فيما يُستقبل.

(أَنَّهُ يَجِبُ)، والواجب في الاصطلاح: هو ما طلب الشارع فعله طلباً جازماً.

(عَلَيْنَا): ليس خاصاً بالمسلم بل يشمل الكفار كذلك.

(تَعْلَمُ أَرْبَعَ مَسَائِلَ)

الأولى: العلم.

(وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ). العلم مُرَادٌّ به هنا العلم الشرعي، يعني علم الكتاب والسنة.

والعلم هو معرفة الهدى بدليله وهو قسمان:

فرض عين.

وفرض كفاية.

وفروض العين من العلم الشرعي كأصول الإيمان، وشرائع الإسلام، وما يجب اجتنابه من المحرمات، وما يحتاج إليه في المعاملات، ونحو ذلك مما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب عليه العلم به، فمن تاجر بالذهب والفضة وجب عليه أن يعرف أحكام الربا بخلاف من لم يتاجر، من كان عنده مال وحال عليه الحول وبلغ النصاب حينئذٍ يجب عليه أن يتعلم أحكام الزكاة

بخلاف فرض الكفاية فإن فعله البعض حينئذٍ سقط عن الآخرين.

قال الإمام أحمد: يجب أن يطلب من العلم ما يقوم به دينه. قيل له مثل أي شيء؟ قال: الذي لا يسعه جهله، صلاته وصيامه .. ونحو ذلك. يعني الأركان أركان الإيمان الست، وكذلك أركان الإسلام، أو ما بُني عليه الإسلام.

(الْعِلْمُ) (وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ، وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ، وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ)

فهو علم خاص ولا يعني به جميع العلم الشرعي لأنه عَرَفَهُ فقال:

(وَهُوَ مَعْرِفَةُ اللَّهِ) واضح أن المصنف يرى أن العلم والمعرفة بمعنى واحد، وهذا هو الصحيح عند أهل اللغة وإن فَرَّقَ بينهما بعض المتأخرين. قال الله تعالى: {الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ آبَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} [البقرة: 146] فالأول قال: يعرفون ثم قال: {وَهُمْ يَعْلَمُونَ} فأخبر عن المعرفة بالعلم، فدل على أنهما بمعنى واحد.

والله طالبنا بالعلم بالله سبحانه وتعالى، أي بذاته وأسمائه وصفاته والتعبد له. فقال: فاعلم أنه لا إله إلا الله. وأما مجرد معرفة إبليس يعرف ربه ولكن هذه المعرفة ليست كافية، لماذا؟ لتخلف المقتضى وهو العمل بمدلولها.

فالمعرفة التي هي العلم تستلزم قبول ما شرعه والإذعان والانقياد له وتحكيم شريعته التي جاء بها رسوله محمد، صلى الله عليه وسلم.

(وَمَعْرِفَةُ نَبِيِّهِ) هذا من العلم العيني

(نَبِيِّهِ) ولم يقل رسوله لأنهما مترادفان في هذا الموضع، وإن كان المشهور عند أهل العلم أن النبي أعم من الرسول، فكل رسول نبي من غير عكس، والمراد به خاتم الأنبياء والمرسلين محمد - صلى الله عليه وسلم.

ومعرفته فرض عين على كل مكلف، معرفة تستلزم قبول ما جاء به من الشرع والحكم بشرعه والتحاكم إليه. قال الله تعالى: {فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: 65]، وقال تعالى: {إِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا} [النساء: 59] فأوجب طاعة النبي - صلى الله عليه وسلم - طاعة مطلقة لأنها تابعة لطاعة الله عز وجل، فمن أطاع الرسول فقد أطاع الله، وأما من ادعى محبة الرب جل وعلا ومعرفته ولم يطع رسوله حينئذ تكون معرفة ومحبة ناقصة أو معدومة.

ثم قال: (وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ بِالْأَدِلَّةِ)

يتضمن الخضوع والذل، وهنا بمعنى العبادة، والخضوع لله تعالى، وبمعنى طاعة الرب جل وعلا.

وهذه الثلاث متلازمة لأنه إذا ادعى وجود معرفة الله ولم يعرف نبيه ولا دينه الإسلام انتقضت المعرفة الأولى، وإذا ادعى معرفة الله ومعرفة نبيه ولم يعرف دين الإسلام حينئذ انتقضت تلك المعرفتتان.

والإسلام له إطلاقان [الشريعة]:

إسلام عام.

وإسلام خاص.

والإسلام العام المراد به عبادة الله تعالى وحده لا شريك له، وهذه عامة في كل زمن وفي كل مكان، في كل زمان وفي كل مكان، وهي ليست خاصة بنبي دون نبي، ولا رسول دون رسول، ولا قوم دون قوم. بل ما خلق الله عز وجل الجن والإنس إلا من أجل تحقيق عبادة الله وحده لا شريك له، فمنذ أن أرسل الله الرسل إلى أن تقوم الساعة كلهم من الأنبياء والمرسلين يدعون إلى الإسلام بالمعنى العام، وقد جاءت آيات يُفسر فيها الإسلام

بهذا المعنى، كقول الرب جل وعلا عن إبراهيم {رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ} [البقرة: 128] {مُسْلِمَيْنِ لَكَ} المراد به الإسلام العام {يَحْكُمُ بِهَا النَّبِيُّونَ الَّذِينَ أَسْلَمُوا} [المائدة: 44] المراد به الإسلام العام، وقال موسى لقومه: {وَقَالَ مُوسَى يَا قَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُسْلِمِينَ} [يونس: 84] المراد به الإسلام العام.

وأما الإسلام الخاص المراد به ما بَعَثَ الله به نبيه محمد، صلى الله عليه وسلم، مما اشترك مع من سبق وانفرد وزاد به نبينا - صلى الله عليه وسلم - خاصة. وإما القدر المشترك بين الأنبياء فهو الدعوة إلى توحيد الرب جل وعلا والتحذير من الشرك به {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: 25]، {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36] هذه دعوة عامة وهو الإسلام العام، ولا يختص بها نبي دون نبي، ولا رسول دون رسول، فهي عامة.

(بِالْأَدِلَّةِ) متعلق بقوله: (وَمَعْرِفَةُ دِينِ الْإِسْلَامِ) دين الإسلام منه ما هو أصول ومنه ما هو فروع، وأصول الدين نوعان: النوع الأول: ما يَحْصُلُ به الإسلام ويُحْكَم على فاعله بالتوحيد ويخرجه من الشرك. والنوع الثاني: أصول الدين كلها.

فالأصول مطلقاً الصحيح أنه يجوز تعلمها ومعرفتها بدون دليل شرعي، يعني: يجوز فيها التقليد على الصحيح، وهذا هو الصواب أنه لا يجب معرفة أصول الدين مطلقاً بالأدلة بل هو جائز قال الله: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا {النحل: 43، 44} فسرهما ابن عباس قال: هنا الحجج والدلائل {إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} * بِالْبَيِّنَاتِ {إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} قال: {فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ} هنا أمر بالسؤال مطلقاً يعني: يشمل الأصول ويشمل الفروع. أحال الله عز وجل الجاهل وأمره بسؤال العالم مطلقاً سواء كان يجهل الأصول أو كان يجهل الفروع، فحينئذ لا يشترط في معرفة العقائد أنه لا بد من دليل شرعي بمعنى إذا عرف الله تعالى بأنواع التوحيد الثلاثة توحيد الربوبية وتوحيد الألوهية والأسماء والصفات، وعرف كل نوع منها هل يشترط أن يذكر له الدليل أو يكفي أن يعرف أن التوحيد ثلاثة أنواع، والصحيح أنه يجوز التقليد في باب المعتقد.

وهذا إسلام صحيح وهو مجمع عليه بين الصحابة. رضي الله تعالى عنهم، لما فتحو الفتوحات ودخل الناس في دين الله أفواجًا لم يكونوا يطلبون الأدلة وإنما طلبوا منهم قول لا إله إلا الله دون أن يذكروا لهم الأدلة.

الثانية: العمل به.

يعني بهذا العلم، والعمل ثمرة العلم، فمن عمل بلا علم فقد شابه النصارى، ومن علم ولم يعمل فقد شابه اليهود.

والنصوص الشرعية في الكتاب والسنة وردت في وجوب إتباع العلم بالعمل، لأن العلم منه ما هو واجب، ومنه ما هو مستحب، والعمل بالعلم الواجب واجب، والعمل بالعلم المستحب مستحب.

وورد الوعيد الشديد لتارك العمل بما علم، ولذلك جاء في الحديث «لا تزول قدما عبد يوم القيامة حتى يُسأل عن أربع» وذكر منها عن علمه ماذا عمل به؟ قال الفضيل بن عياض رحمه الله: لا يزال العالم جاهلاً حتى يعمل بعلمه، لا يزال العالم يعني: العالم الذي يحفظ المسائل فقط ولو بأدلتها، لا يزال العالم جاهلاً حتى يعمل بعلمه، فإذا عمل به صار عالماً لأنه لا بد من إتباع العلم بالعمل، وهذا هو الضابط في معرفة العلم النافع، قد يستشكل البعض أنه يطلب العلم ولا يدرى هل هذا علمه نافع أم لا؟ لأنه ليس كل من حفظ القرآن وحفظ السنة وتعلم منهما ما تعلم أن يكون علمه نافعا، بل قد يكون حجة عليه وإنما يكون نافعا إذا أتبعه بالعمل، حينئذ يعرف من نفسه أنه ما علم مسألة إلا وقد عمل بها. ولذلك بعض من طلبه العلم قد تكون عنده همة في معرفة وحفظ العلم الشرعي ولا تكون عنده همة في العمل بذلك العلم، وهذا على خطر.

وجاء في أثر: "من عمل بما علم أورثه الله علم ما لم يعلم، ومن لم يعمل بما علم أوشك الله أن يسلبه ما علم" (ضعيف). لكنه من جهة المعنى والواقع له حظ من الصحة.

الثالثة: الدعوة إليه.

فإذا أكمل العبد قوتين، القوة العلمية والقوة العملية وجب عليه أن يكمل، قالنجاة لا تكمل إلا بالدعوة إلى الله تعالى، وهي طريق الرسل وأتباعهم، فالعلم الواجب الدعوة إليه واجبة، والعلم المستحب الدعوة إليه مستحبة، وما كان محرماً فالدعوة إلى تركه واجبة.

وأما الجاهل فتحرم عليه الدعوة، ولو دعا إلى ما لم يعلمه فقد ارتكب محرماً، ووقع في الافتراء والقول على الله عز وجل بلا علم.

الدليل على وجوب الدعوة حديث معاذ «إِنَّكَ تَأْتِي قَوْمًا مِنْ أَهْلِ كِتَابٍ فَلْيَكُنْ أَوَّلَ مَا تَدْعُهُمْ» الحديث. كذلك حديث علي «انفذ على رسلك ثم ادعهم». ولذلك قال الله عز وجل لنبيه {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ} [النحل: 125].

وهذه الدعوة لها طريق: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: 108] وهذا يدل على أن الدعوة عبادة، الصلاة عبادة، وإذا قيل بأن الصلاة عبادة حينئذ لا تصح الصلاة ولا تقبل الصلاة إلا بتحقيق شرطين:

الأول: الإخلاص لله عز وجل.

والثاني: المتابعة للنبي - صلى الله عليه وسلم -.

فدعوة بلا إخلاص: شرك. ودعوة دون متابعة بدعة، فليس كل من دعا إلى الله تعالى يكون على حق ويكون على سنة ومتابعة.

الرابعة: الصبر على الأذى فيه.

يعني في الدعوة إلى العلم، لأن من قام بدين الإسلام ودعا الناس إليه فقد قام مقام الرسل، والعلماء ورثة الأنبياء فقد أوجب الله تعالى عليهم الدعوة، ولا بد أن يصيبهم ما أصاب الأنبياء من قبل، وقد قصد أن يقف بين الناس وشهواتهم وأهوائهم واعتقاداتهم الباطلة، فلا بد أن يقع له شيء من الأذى كما أؤذي الرسل، حينئذ يتعين عليه الصبر لأن ما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب، ولا تتم الدعوة الواجبة إلا مع الأذى، سنة الله عز وجل في خلقه، فإذا أؤذي الأنبياء والمرسلون بل أفضل الخلق نبينا محمد - صلى الله عليه وسلم - فمن دونه من باب أولى وأحرى، قال الله تعالى: {وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأَوْدُوا حَتَّىٰ أَتَاهُمْ نَصْرُنَا} [الأنعام: 34]

والصبر في اللغة هو الحبس والمنع، واصطلاحاً حبس النفس عن التسخط، واللسان عن التشكي، والجوارح عن لطم الخدود .. ونحو ذلك.

والصبر نوعان:

صبر واجب.

وصبر مستحب.

الصبر على الفرائض، والصبر عن المحرمات. والصبر على البلياء والمصائب النازلة بالعبد. فهذه أمور ثلاثة واجبة مطلقاً على كل مكلف ومكلفة.

الصبر على الفرائض الواجبات أداؤها يحتاج إلى صبر، الصلوات الخمس، وصوم رمضان، والزكاة تحتاج إلى صبر فالشحيح يحتاج إن يصبر، كذلك الحج يحتاج إلى صبر، وكذلك الصبر عن المحرمات، وخاصة إذا تعلقت بها النفس ثم البلياء والمصائب النازلة بالعبد. فهذه أمور ثلاثة الصبر عليها واجب.

فالصبر على المستحبات مستحب، والصبر على المكروهات مستحب، والصبر على الأذى، سواء كان بالقول أو كان بالفعل، يعني يشمل الأذى البدني ويشمل الأذى المالي والأذى النفسي، الصبر على الأذى فيه. فإن من لم يصبر كان من الذين يستخفهم الذين لا يوقنون، قال الله عز وجل: {فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ} [الروم: 60] وقد حذر النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه من العجلة قال: «ولكنكم قوم تستعجلون»

ولذلك أمر الله نبيه بأن يصبر كما قال تعالى: {فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولَؤُا الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ} [الأحقاف: 35].

والدليل قوله تعالى: بسم الله الرحمن الرحيم {وَالْعَصْرِ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ} 1.

وهذا الإيمان يشمل النوعين الإيمان الواجب والإيمان المستحب، {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} يشمل العمل الواجب والعمل المستحب، {وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ} يعني دعوا إلى الله تعالى، ويشمل النوعين الواجب والمستحب، {وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ} والصحيح المراد به الدهر كله. وهو العشي والليل والنهار، الزمان كله. والسر في القسم بالعصر كما قال القرطبي رحمه الله تعالى لما فيه من التنبيه: لتصرف الأحوال وتبدلها وما فيها من الدلالة على الصانع. وأيضاً هو زمن تحصيل الأرباح والأعمال الصالحة للمؤمنين وزمن الشقاء للمعرضين. يعني محل الحوادث وهذا يدل على أنه شيء عظيم؛ لأن الله تعالى له أن يقسم بما شاء. ثم إذا أقسم بشيء من مخلوقاته دلّ على أن هذا المخلوق شيء عظيم وفيه تنبيه العباد إليه، {إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ} إذا أريد بالإنسان هنا مطلق الإنسان يعني جنس الإنسان

فيدخل فيه المؤمن، والمؤمن موحد ومآله إلى الجنة حينئذ يكون قوله: {لَفِي خُسْرٍ} المراد به من وجهٍ دون وجه، وقيل: جنس الناس {إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا} يعني علموا أولاً وهذا هو دليل المسألة الأولى، لأن الإيمان مبناه على العلم والعمل، فالإيمان الشرعي مبني على ثلاثة أركان على جهة التفصيل، اعتقاداً بالقلب وقولاً باللسان وعمل بالجوارح والأركان. وهذه أركان ثلاثة لا يتحقق الإيمان الشرعي إلا باجتماعها، وكل منها الأنواع الثلاث كل منها ما يزول الإيمان بزواله، ومنها ما لا يزول الإيمان بزواله، فالاعتقاد الذي محله القلب معرفة الله تعالى. منها ما يزول الإيمان بزواله يعني: إذا لم توجد هذه المعرفة أو هذا الاعتقاد زال الإيمان.

ومنها ما لا يزول الإيمان بزواله، وكذلك القول في القول قول اللسان منها ما لا يزول الإيمان بزواله، ومنها ما يزول الإيمان بزواله، وكذلك عمل الظاهر المراد به عمل الجوارح والأركان قد يزول الإيمان بزوال هذا بعضها، وقد لا يزول.

{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا} {وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ} الأعمال الصالحات، وهنا آخر العمل عن العلم لأنه فرع وثمرة له، وداخل في مسمى الإيمان بإجماع أهل السنة والجماعة، {تَوَاصَوْا} تفاعل يعني أوصى بعضهم بعضاً بالحق يعني أوصى بعضهم بعضاً بالحق، وقد فسر الحق هنا بالتوحيد، وقيل: القرآن، وقيل: إتباع الرسول، وكلها معاني واحدة {بِالصَّبْرِ} يعني أوصى بعضهم بعضاً بالصبر، والصبر هنا محلى بأل فيعم جميع أنواع الصبر.

قال الشافعي رحمه الله تعالى: لو ما أنزل الله حجة على خلقه إلا هذه السورة لكفتهم. وقال البخاري، رحمه الله تعالى: باب العلم قبل القول والعمل.

الشافعي هو أبو عبد الله محمد بن إدريس الهاشمي القرشي. قال رحمه الله تعالى: (لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ حُجَّةً عَلَى خَلْقِهِ إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ لَكَفَتْهُمْ). أورد الحافظ ابن كثير هذا القول للشافعي، لكن بصيغة أخرى: لو تدبر الناس هذه الصورة لوسعتهم.

(لَوْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ)، (إِلَّا هَذِهِ السُّورَةُ) مع اختصارها وغاية اختصارها (لَكَفَتْهُمْ) لجمعها الخير بحذافيره، وتضمنت جميع مراتب الكمال الإنساني، فبين الله عز وجل في هذه السورة الكريمة المنهاج العام الذي ينبغي أن يسير عليه المسلم وهو الجمع بين هذه

الأربعة: أن يكمل نفسه بالإيمان والعمل الصالح، وأن يكمل غيره بالدعوة إلى الله تعالى بما علم وعمل، وأن يصبر على ما يلاقه في سبيل الله تعالى.

(وَقَالَ الْبُخَارِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى) في صحيحه في كتاب العلم: بَابُ (الْعِلْمُ قَبْلَ الْقَوْلِ وَالْعَمَلِ)، بمعنى أنه لا يتقرب المكلف إلى ربه جل وعلا بقول أو بعمل إلا بعد أن يثبت عنده ذلك الأمر، بأن الله تعالى أوجبه أو استحبه.

والدليل قوله تعالى: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ}. محمد آية: 19.

فبدأ بالعلم قبل القول والعمل.

والترتيب هنا مراد فدل على أن الثاني مرتب على الأول.

({فَاعْلَمْ}) هذا خطاب للنبي - صلى الله عليه وسلم -، والخطاب للنبي خطاب لأئمة، أليس كذلك؟

وما به قد خطب النبي ... تعميمه في المذهب السني

ولذلك قال الله تعالى: مخاطباً نبيه عليه الصلاة والسلام {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ} [الطلاق: 1] ثم

قال: {إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ}، {إِذَا طَلَّقْتُمُ} مخاطب بالجمع

كذلك في قوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ} [التحريم: 1] إلى أن قال: {قَدْ فَرَضَ

اللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَانِكُمْ} [التحريم: 2]

({لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ}) لا معبود بحق إلا الله عز وجل، ({وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ})، ({وَاسْتَغْفِرْ}) هذا

أمر بالاستغفار، وهو نوع من أنواع العمل.

نص البخاري: بَابُ العلم قبل القول والعمل لقول الله تعالى: ({فَاعْلَمْ}) الآية. في الآية

دليل على فضل العلم، سئل سفيان بن عيينة عن فضل العلم فقال: ألم تسمع قول الله

تعالى حين بدأ به فقال: {فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ} ثم أمره بالعمل بعد ذلك. فقال:

{وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ} وفيه دليل على ما أراده المصنف، وهو أن العلم مقدم على العمل، فدل

على أن مرتبة العلم مقدمة على مرتبة العمل، وأن العلم شرط في صحة العمل.

بل نص ابن القيم رحمه الله تعالى على أن من فضائل العلم [أن هذين الشرطين

موقوفين] على العلم لأن الإخلاص لا يمكن معرفته إلا بالعلم، وكذلك المتابعة لا يمكن

معرفتها إلا بالعلم، وأن العلم شرط في صحة القول والعمل، ولا يعتبران إلا به لأنه مصحح

للنية المصححة للعمل. انتهت المحاضرة الأولى في العقيدة: الأصول الثلاثة

المحاضرة الثانية في العقيدة:- الأصول الثلاثة

يوم الخميس الموافق 2018-7-12

بشرح فضيلة الشيخ الاستاذ الدكتور/ طلعت زهران – حفظه الله
الدورة النسائية – مصر- الاسكندرية- العسافرة- جامع الامام مسلم

اعلم رحمك الله أنه يجب على كل مسلم ومسلمة تعلم ثلاث هذه المسائل، والعمل بهن.
الأولى: أن الله خلقنا ورزقنا ولم يتركنا هملاً، بل أرسل إلينا رسولا؛ فمن أطاعه دخل الجنة ومن عصاه دخل النار.

قال الله عز وجل: {وَلَيْن سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ} [الزمر: 38]، هذا من باب التقديم والتوطأة للمسألة الثانية. (أَنَّ اللَّهَ خَلَقَنَا)، يراد به العموم فيدخل فيه الجن وهذا مصداق لقوله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56]

لم يتركنا هملاً معطلين، بل لا بد من أمرٍ ونهي، ومعلوم أن الله عز وجل غيب وما أراد من الأوامر والنواهي غيب، فلا بد من واسطةٍ بينه وبين الخلق من أجل أن يعلموا ما الذي أرادهم جل وعلا ليفعلوه، وما الذي أراد جل وعلا أن يجتنبوه. ولذلك قال المصنف: (بَلْ أَرْسَلَ إِلَيْنَا رَسُولًا) بالهدى ودين الحق، من بني جنسنا ليس ملكاً ولا جنياً؛ لئلا نستوحش منه. بل هو بشر، قال الله عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ} [النساء: 64]

(فَمَنْ أَطَاعَهُ) يعني أطاع الرسول (دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ عَصَاهُ دَخَلَ النَّارَ). رتب الجزاء على هذه الطاعة وهي الجنة أو النار، فَمَنْ أَطَاعَ الرسول لأنها طاعة الله عز وجل، قال الله سبحانه: {مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: 80] فكل طاعةٍ للنبي – صلى الله عليه وسلم – فهي طاعة الله تعالى، ولذلك النبي عليه الصلاة والسلام بل الرسل على جهة العموم إنما هم مبلغون لما أوحاه الله عز وجل إليهم. قال سبحانه: {يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ فَمَا بَلَّغْتَ رِسَالَتَهُ} [المائدة: 67]، (فَمَنْ أَطَاعَهُ دَخَلَ الْجَنَّةَ) دخولاً أولياً أو ثانوياً بحسب الطاعة، لأن الدخول دخول الجنة عند أهل السنة والجماعة قد يكون أولياً بمعنى أنه ابتداءً لا يُعذب لا يدخل النار، وقد يدخل النار ثم يخرج منها كما هو معتقد أهل السنة والجماعة، حينئذٍ يكون دخوله للجنة ليس أولياً

ابتداءً وإنما مر بالنار أولاً ثم بعد ذلك دخل الجنة، فمن مات على معاصي كبائر ونحوها فهو تحت المشيئة، إن شاء الله تعالى عذبه وإن شاء عفا عنه فتجاوز عنه. والمعصية هي مخالفة الأمر عمداً، ولا بد من قيد العمد لأنه إذا فعل المعصية المخالفة لا على جهة العمد، وإنما بطريق الخطأ ونحو ذلك فلا يقال بأنه معصية. قال الله عز وجل: {وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ} [النساء: 14] والآيات في ذلك كثيرة.

والدليل قوله تعالى: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا}. المزمّل: 15-16

{إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ} الخطاب هنا لمشركي العرب، وللعوم.

{شَاهِدًا عَلَيْكُمْ} أي على أعمالكم يوم القيامة

{كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولًا}، ومثل هنا بفرعون لشهرة خبره عندهم.

{فَعَصَىٰ فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ} وهو موسى عليه السلام.

{فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا} أي ثقيلاً شديداً كما قاله ابن عباس، وذلك بإغراقه وجنوده في اليم ثم في البرزخ إلى يوم القيامة كما قال سبحانه: ... {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا} [غافر: 46] {وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ}

فاحذروا إذ الحكم واحد، لأن التسوية هنا بين الأمرين، كأنه من باب القياس الجلي الواضح، حينئذٍ يحل بكم من العذاب ما حل بفرعون وقومه؛ إذ العلة واحدة وهي تكذيب الرسل، فاحذروا أنتم أن تعصوا نبيكم كما عصى فرعون الرسول فيحل بكم ما حل بهم.

الثانية: أن الله لا يرضى أن يشرك معه أحد في عبادته، لا ملك مقرب ولا نبي مرسل.

(لَا يَرْضَى) هذا نفي للرضا عن الرب جل وعلا وليس نفياً مطلقاً، بل فيه إثبات صفة الرضا للرب سبحانه، فهي صفة قائمة بذات الله تعالى ولازمها الإنعام والعطاء، متعلقة بمشيئته.

(أَنْ يُشْرَكَ مَعَهُ أَحَدٌ) والمراد بالشرك هنا أن تجعل لله نداً في الإلهية، أو في الربوبية، أو في الأسماء والصفات.

والمراد به شرك في الإلهية دون غيره من الأنواع.

(أَحَدٌ) هذا نكرة في سياق النفي، سواء كان ملكاً مقرباً أو نبياً مرسلًا، فإذا انتفى رضا الرب جل وعلا على أن يرضى أن يُعبد غيره معه جل وعلا ولو كان نبياً أو ملكاً فغيرهما من باب أولى وأحرى.

(فِي عِبَادَتِهِ) العبادة: اسمٌ جامع لكل ما يحبه الله تعالى ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة

(لَا مَلَكٌ مُّقَرَّبٌ، وَلَا نَبِيٌّ مُرْسَلٌ)

ولم يقصد به الاستيعاب، وإنما أراد أعلى ما يمكن أن يصرف العبد شيئاً من العبادة لهذين النوعين، فإذا لم يرض الله عز وجل أن تُصَرَّفَ العبادة ولو شيئاً يسيراً منها لهذين النوعين فما دونهما من الأصنام والأحجار والأشجار من باب أولى وأحرى.

فالله تعالى لا يرضى الشرك، بل يسخط ذلك الذنب ولا يريده شرعاً، أما كوناً فأراد الله عز وجل وقوع لحكمة أرادها.

والدليل قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} الجن آية: 18. {الْمَسَاجِدُ} جمع مسجد ويقصد به السجود أو أعضاء السجود، وقيل المساجد هي المساجد التي بنيت للصلاة والعبادة والتلاوة والاعتكاف ونحو ذلك.

{لِلَّهِ} (المعبود بحق)

(فَلَا تَدْعُوا) دعاء مسألة ودعاء عبادة، كما جاء في الحديث «الدعاء هو العبادة» وعليه أكثر المفسرين.

و {أَحَدًا} نكرة في سياق النفي يعم كائن من كان فيدخل فيه الملك المقرب والنبى المرسل فضلاً عن من سواهما.

فصرف العبادة لغير الله تعالى يعتبر من المحرمات، وبين أن الذي يُصرف له أو إليه شيء من الدعاء أنه عام في كل مخلوق.

الثالثة: أن من أطاع الرسول ووجد الله لا يجوز له موالاته من حاد الله ورسوله، ولو كان أقرب قريب.

من اعترف بالخالفية والرازقية لله عز وجل وأن الله تعالى أرسل الرسول من أجل أن يطاع، ثم أن الله تعالى حرم الشرك، ولا يرضى عن أهل الشرك.

فكما أن المسلم يجب عليه مجانبة الشرك؛ لأن الله تعالى لا يحبه ولا يرضاه بل حرمه، كذلك من تلبس بالشرك فحينئذ لا يرضى الله عز وجل عنه فيجب المباحة عنه بكل وسيلة لا بالكلام ولا بالمحبة ولا بنحوها.

(أَنَّ مَنْ أَطَاعَ الرَّسُولَ) يعني أتى بشهادة أن محمداً رسول الله، وأطاعه فيما أمر واجتنب ما عنه نهى وزجر.

(وَوَحَّدَ اللَّهَ) يعني أفرد الله تعالى بالعبادة، وعمل بمقتضى الشهادتين ولم يأت بناقض. ويوالي أهل التوحيد ويبغض أهل الشرك ويعاديهم. فحينئذ لو عكس أو لم يأت بواحد منهما يعتبر إما ناقضاً للإسلام من أصله، وإما تاركاً لواجب من واجبات الإسلام. (لَا يَجُوزُ لَهُ مُوَالَاةٌ مِنْ حَادٍّ) أصل المحادة في اللغة أن تكون في جانب ومقابلك في جانب آخر، يعني عادى وخالف {اللَّهُ وَرَسُولُهُ} بأن جعل دين الله تعالى في جانب وهو في جانب آخر.

(وَلَوْ كَانَ أَقْرَبَ قَرِيبٍ) كالوالد والولد، لا تجوز مولاته.

والدليل قوله تعالى: {لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُمْ بِرُوحٍ مِنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ} المجادلة آية: 22.

{لَا تَجِدُ} يا رسول الله، وهذا نفى ليس بنهي، وإنما هو نفى والنفي أبلغ عند البيانين والأصوليون أبلغ من النهي فهو نهى وزيادة.

ولذلك يفهم من قوله - صلى الله عليه وسلم - : «لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب»، «لا صلاة» فيحرم عليه أن يترك هذه الفاتحة التي نص عليها في الخبر، وكذلك إن أوقع تلك الصلاة حينئذ صلاته كأنها غير موجودة.

{قَوْمًا} نكرة في سياق النفي فيعم. مهما كان صفة هؤلاء القوم. أطاعوا الرسول ووحدها الله.

{يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ} لَا تَجِدُ قَوْمًا جمعوا بين الإيمان بالله تعالى والإيمان باليوم الآخر {يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ} أي يوالون من حادّ وعادى الله ورسوله - صلى الله عليه وسلم. وهم الكافرون.

ولو كانوا {آبَاءَهُمْ} وهم الأصول وإن علوا
{أَوْ أَبْنَاءَهُمْ} وهم الفروع وإن نزلوا
{أَوْ إِخْوَانَهُمْ} وهم أقرب إخوانهم وأعمامهم وأعوانهم
{أَوْ عَشِيرَتَهُمْ} وهم الأقارب الذين يتكثر بهم.
حينئذ انتفتت القرابة بجميع أصنافها.
{أُولَئِكَ} الذين لا يوادون من حادّ الله ورسوله، أي الذين عصموا أنفسهم وعصمهم الله
عز وجل من الوقوع في الموالاة.
{كَتَبَ} الله عز وجل {فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ} أي أثبت في قلوبهم الإيمان، وجعله راسخاً
ثابتاً،

{وَأَيَّدَهُمْ} أي قواهم ببرهانٍ منه ونورٍ وهدى.
{وَيُدْخِلُهُمْ} أي يسكنهم {جَنَّاتٍ} متعددة لا واحدة {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا} من تحت أشجارها
ومساكنها المياه والأنهار، {خَالِدِينَ فِيهَا}، وهذا تثبيت للنعمة
{رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ} بطاعتهم إياه في الدنيا {وَرَضُوا عَنْهُ} في الآخرة بإدخاله إياهم الجنة
{أُولَئِكَ} أي الموصوفون بما ذكر {حِزْبُ اللَّهِ} أي جند الله وأوليائه، فهم قد تحزبوا
 واجتمعوا على الحق، وكل من تحزب أو اجتمع على أمرٍ ما حينئذ يكون حزباً،
{أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ} إضافة تشريف تفييد الاختصاص والتكريم والإجلال لفعلهم،
{هُمُ الْمُفْلِحُونَ}، والفلاح هو الفوز، وهي أجمع كلمة للخير في لسان العرب وهي
حصول المطلوب والأمن من المرهوب.

إذا هذه المسألة الثالثة متعلقة بالموالاة. وهي على نوعين:

موالاة كبرى.

وموالاة صغرى.

الموالاة الكبرى هي التي تسمى التَّوَلَّى والمظاهرة وتسمى الموالاة الْمُطْلَقَة.

والموالاة الصغرى هي دون ذلك.

الموالاة المطلقة والتَّوَلَّى والمظاهرة هذه مكفرة بمعنى أنها مخرجة لصاحبها من الإسلام،
وهي التي عناها الله عز وجل بقوله: {وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِّنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ} [المائدة: 51] حينئذٍ

يكون كافرًا مرتدًا عن الإسلام، وهذه فسرهما بعضهم بمحبة الشرك وأهل الشرك، إذا أحبهم من كل وجه فحينئذ يكون متوليًا لهم فهو كافر مرتد عن الإسلام.

والنوع الثاني: المولاة الصغرى وهي كل ما يؤدي إلى مصانعتهم وتوقييرهم واحترامهم والتشبه بهم ونحو ذلك واستشارتهم، أو إطلاق العبارات التي تدل على الصداقة ونحو ذلك، كلها كذلك تعتبر من المولاة المحرمة التي لا تصل بصاحبها إلى الكفر والله أعلم.

اعلم أرشدك الله لطاعته، أن الحنيفية ملة إبراهيم: أن تعبد الله وحده مخلصا له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس، وخلقهم لها، كما قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾. الذاريات آية: 56

انتهت المحاضرة الثانية فى العقيدة: الأصول الثلاثة

تفريغ المحاضرة الثالثة في العقيدة: الأصول الثلاثة

يوم الخميس الموافق 19-7-2018

بشرح فضيلة الشيخ الأستاذ الدكتور/ طلعت زهران- حفظه الله
الدورة النسائية -مصر-الاسكندرية -العصافرة- جامع الإمام مسلم

اعلم أرشدك الله لطاعته، أن الحنيفية ملة إبراهيم: أن تعبد الله وحده مخلصاً له الدين، وبذلك أمر الله جميع الناس، وخلقهم لها، كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ}. الذاريات: 56 (أَرَشِدَكَ اللَّهُ) أي هداك إلى الرشـد ووفقك إليه، والرشـد هو الاستقامة على طريق الحق ضد الغي، والغـي هو الضلال.

والطاعة هي موافقة أمر الشرع بامتنال ما أمر الله تعالى واجتناب ما نهى عنه، ولذلك هي أعم من العبادة.

(اعْلَمْ) ماذا؟ قال: (أَنَّ الْحَنِيفِيَّةَ): مأخوذة من الحنـف وأصله في اللغة الميل، عن الشرك قاصداً إلى التوحيد. دليـله قوله تعالى: {قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفاً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} وقوله تعالى: {إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتاً لِلَّهِ حَنِيفاً وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [النحل: 120].

قال تعالى: {قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} [آل عمران: 95]
المِلَّة هي الشَّرْعَة: تفسر بمعنى الدين: ما شرعه الله عز وجل على السنة رسـله، ثم ما هو متفق عليه بين الرسل أجمعين كالتوحيد وأصول التوحيد، ومنه ما هو مختلف باختلاف الشرائع وهو الفروع.
وإنما نص هنا المصنف على إبراهيم عليه السلام لكونه هو المذكور في القرآن، {فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ} أضافها الله عز وجل إلى إبراهيم لكونه إماماً، ولأنه أبو الأنبياء، ولأن النبي - صلى الله عليه وسلم - جاء إلى قوم كل يدعي أنه تابع لإبراهيم عليه الصلاة والسلام، فقريش تدعي أنها على ملة إبراهيم، وكذلك اليهود والنصارى قال الله عز وجل: {مَا كَانَ إِبْرَاهِيمَ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفاً مُسْلِماً وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [آل عمران: 67].

(مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) كأنه قال: عبادة الله بالإخلاص وترك عبادة ما سواه، والعبادة كما ذكرناه في اللغة هي الذل والخضوع يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف لله عز وجل.

(أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ، مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) والإخلاص هو الخالص الصافي، وهو ما زال عنه الشوائب، بمعنى أن تقع هذه العبادة وألا يكون في القلب سوى الله عز وجل بأن لا يريد من عبادته تلك إلا الله عز وجل فلم يكن ثم قلب متصف بالعبودية لله عز وجل إلا وقد تفرغ من التعلق بما سوى الله عز وجل.

(وَبِذَلِكَ) أي العباداة الخاصة (أَمَرَ اللَّهُ جَمِيعَ النَّاسِ، وَخَلَقَهُمْ لَهَا) مسلمهم وكافرهم، ولو قال: الخلق لكان أحسن، قال الله عز وجل: {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ} قال الله تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56] الحصر، (ما، وإلا) أعلى درجات الحصر، ففيه إثبات الحكم في المذكور وهو العباداة لله عز وجل {لِيَعْبُدُونِ}.

ومعني عبدون: العباداة اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه، فهي توحيد وزيادة. فالعبادة مبناها من حيث الصحة والعدم والفساد على التوحيد، فكل عبادة خلت عن التوحيد فهي عبادة باطلة فاسدة، لأن أصل العباداة أن تكون مبنية على شرطين اثنين لا تصح إلا بشرطين وهما الإخلاص والمتابعة.

فكل عبادة لا توحيد فيها ليست بعبادة كما قال تعالى في الحديث القدسي: («أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملاً أشرك فيه معي غيره تركته وشرك»). وأعظم ما أمر الله به عز وجل من سائر أمور أو أوامر الشريعة التوحيد، وهو (إِفْرَادُ اللَّهِ بِالْعِبَادَةِ). فدل على أن مراده بالتوحيد هنا توحيد الإلهية، وإنما خص المصنف هنا نوعاً من هذه الأنواع الثلاثة لكون المعركة القائمة بين الرسل وأقوامهم إنما هي في توحيد الإلهية، ولذلك قال تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36].

وأعظم ما نهى عنه هو الشرك الأكبر لأنه عرفه بقوله: (دَعْوَةُ غَيْرِهِ مَعَهُ)، وهذا تخصيص للشرك في الإلهية. والدعوة هنا بمعنى العباداة لأن الدعاء هو العباداة، فيشمل دعاء المسألة ودعاء العباداة. لقوله تعالى {فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَاداً وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [البقرة: 22]، النهي عن اتخاذ الأنداد مع الله بأي وجه من الوجوه، وجاء في الحديث الصحيح (أي الذنب أعظم؟ فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «أن تجعل لله نداً وهو خلقك») إذا جعل الند لله هو الشرك («أن تجعل لله نداً وهو خلقك») وفي رواية عند مسلم أيضاً (أي الذنب أكبر؟ قال: «أن تدعو لله نداً وهو خلقك»). وجاء في الصحيحين عن أبي بكر قال: كنا عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فقال «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر» ثم قال وذكرها «الإشراك بالله».

والدليل قوله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً} النساء آية: 36. {وَاعْبُدُوا} أمر، والأمر يقتضي الوجوب كما تقول {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [البقرة: 43]، {أَقِيمُوا} هذا أمر، والأمر يقتضي الوجوب. إذا عبادة الله تعالى واجبة، والخطاب هنا موجبة للمكلفين، والمراد تذللوا لله تعالى بالله.

والدليل قوله تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً} النساء آية: 36. {وَاعْبُدُوا} أمر، والأمر يقتضي الوجوب كما تقول {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} [البقرة: 43]، {أَقِيمُوا} هذا أمر، والأمر يقتضي الوجوب. إذا عبادة الله تعالى واجبة، والخطاب هنا موجبة للمكلفين، والمراد تذللوا لله تعالى بالله.

بالعبادة، وهو عام يشمل أنواع العبادة كلها، (وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا: هذا فعل مضارع سُلِّطَ عليه لا الناهية فجزمته، والنهي يقتضي التحريم. إذا الشرك بنوعيه محرم.

إذا الشرك بنوعيه سواء كان شركاً أكبر أو شركاً أصغر فهو محرم.

(شَيْئًا) صرف العبادة لأي نوع عدا الله عز وجل يعتبر من الْمُشْرِكِ به.

وهذا يجعل المرء يفكر بنفسه أولاً في علمه وتعلمه، بأن تتجه النفس إلى أعظم ما أمر الله عز وجل.

فإذا قيل لك: ما الأصول الثلاثة التي يجب على الإنسان معرفتها؟ فقل: معرفة العبد ربه، ودينه، ونبيه محمد صلى الله عليه وسلم.

فإذا قيل لك: من ربك؟ فقل ربي الله الذي رباني ورب جميع العالمين بنعمه، وهو معبودي ليس لي معبود سواه.

(مَعْرِفَةُ الْعَبْدِ رَبَّهُ) الرب: يُطلق ويراد به الخالق المعبود، ولفظ الله والرب إذا اجتمعا افترقا، وإذا افترقا اجتمعا، فإذا افترقا يفسر الله بمعنى الخالق المعبود المطاع، وإذا انفرد لفظ الرب فُسرَّ بالخالق المربي المعبود كذلك. وإذا اجتمعا يفسر الرب بالمربي أو الخالق المالك المدبر لشؤون الخلق، ويفسر الله بالمعبود.

(وَدِينُهُ) الإسلام وهو فعل ما أوجب علينا أن نفعله وترك ما أوجب علينا تركه.

(ونبيه) لأن الله تعالى لم يخلق هذا الخلق عبثاً وإنما لحكمة عظيمة بالغة من حيث الأصل ومن حيث الفرع، كان لا بد من رسولٍ وواسطة يكون بين الخلق وبين خالقهم يبين لهم ما أَرَادَهُ الله عز وجل من عبادته.

هذه هي الأصول الثلاثة ذكرها المصنف مجملَةً ثم فصلها تنميماً للفائدة

فقال رحمه الله تعالى:

(فَإِذَا قِيلَ لَكَ: مَنْ رَبُّكَ؟) أي من خالقك ورازقك ومعبودك

(فَقُلْ: رَبِّيَ اللَّهُ) يعني هو خالقي ومالكي

الذي رباني أي خلقتني وأوجدني، ثم رباني بنعمه الظاهرة والباطنة

(وَرَبِّيَ جَمِيعَ الْعَالَمِينَ بِنِعَمِهِ تَعَمِيمٌ بعد تخصيص

وَهُوَ مَعْبُودِي ليس لي معبود سواه، وهذا معنى لا إله إلا الله

لأنه يفسر أصلاً من الأصول التي يُسأل عنها العبد في قبره، ولذلك قال سبحانه: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ

رَسُولٍ إِلَّا نُوْحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: 25].

والدليل قوله تعالى: {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الفاتحة آية: 2.

دليل على أن الله تعالى هو المستحق للعبادة لكونه سبحانه هو المربي لجميع العالمين،
(الْحَمْدُ) أل هذه للاستغراق، يشمل أنواع الحمد كلها، وهو ذكر محاسن المحمود مع حبه وتعظيمه وإجلاله.
{لِلَّهِ} على الصحيح مشتق من الإله، والإله فعال بمعنى مفعول وآله يآله الإلهة وألوهة بمعنى عبد يعبد عبادة.

{رَبِّ الْعَالَمِينَ} المراد بالجمع هنا الأفراد والأنواع المختلفة، والعالمون المكلفة وغير المكلفة.
وكل ماسوى الله عالم، وأنا واحد من ذلك العالم. فإذا قيل لك: بمعرفت ربك؟ فقل: بآياته ومخلوقاته، ومن آياته الليل والنهار، والشمس والقمر، ومن مخلوقاته السموات السبع والأرضون السبع وما فيهن وما بينهما.
(وَكُلُّ مَنْ سِوَى اللَّهِ عَالَمٌ، وَأَنَا وَاحِدٌ مِنْ ذَلِكَ الْعَالَمِ).

أي فرد منجملة المخلوقات الربوبية المتعبدة لله عز وجل قهراً.

(فَإِذَا قِيلَ لَكَ: بِمِ عَرَفْتَ رَبِّكَ؟)

(فَقُلْ: بِآيَاتِهِ وَمَخْلُوقَاتِهِ)

جمع آية، والآية هي العلامة والدلالة والبرهان والحجة، (وَمَخْلُوقَاتِهِ) جمع مخلوق وهو ما وجد بعد عدم،
وهما بمعنى واحد، وإن كان الأصل في الآيات أنه يشمل الآيات الشرعية والآيات الكونية.

والدليل قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ
الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ} فصلت آية: 37.

(وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ} [فصلت: 37])

فمراده بالآيات هنا الآيات الكونية، ولا غبار على ذلك فآياته ومخلوقاته بمعنى واحد، وهي التي نصبها الله
تعالى أدلة على وحدانيته جل وعلا

(وَمِنْ مَخْلُوقَاتِهِ) أي من أعظم مخلوقاته التي تدل عليه جل وعلا (السَّمَوَاتُ) يعني سعتها وارتفاعها
(وَالْأَرْضُونَ السَّبْعُ) امتدادها وسعتها

(وَمِنْ فِيهِنَّ) من المخلوقات العظيمة كالجبال ومما لا يعلمه إلا الله عز وجل، (وَمَا بَيْنَهُمَا) كذلك، إذا مثل
لهذين النوعين بالليل والنهار والشمس والقمر والسموات السبع والأرضين السبع، فكلها عند التأمل
والتدبر تدل على أن هذه المخلوقات تدل على خالقها جل وعلا.

(وَمِنْ آيَاتِهِ) أي من الأدلة والبراهين على وجوده تعالى وتفرد به بالإلهية والربوبية {اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ} أي
وجود الليل والنهار بتعاقبهما واختلافهما بالطول والقصر، هذا يذهب ويعقبه الآخر وهلم جرا، في انتظام
محكم بديع.

{وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ}

فهذه وإن كانت آيات عظيمة قد تتعلق بها النفوس الضعيفة إلا أنه لا يقتضي أن يسجد لها لأنها مخلوقة، وخصّ السجود هنا دون سائر العبادات مع كونه يدل على العبادات كلها لأنه أبلغ ما يكون من التعظيم والذل لله سبحانه، فحينئذ ما دونه يكون من باب أولى وأحرى.

{وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ}،

إنما المراد به العموم فذكر بعض العبادات دالاً بها على البعض الآخر أي اعبدوا الله وحده لأنه الخالق العظيم لكم ولهذه الآيات والمخلوقات العظيمة.

استدل جل وعلا بهذه الآيات على أنه مستحق للعبادة.

وقوله تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} الأعرافية: 54.

(في سِتَّةِ أَيَّامٍ} أولها الأحد وآخرها الجمعة

{ثُمَّ اسْتَوَى} أي علا وارتفع {عَلَى الْعَرْشِ} السقف المحيط بالمخلوقات

{يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ} أي يغطي كل واحدٍ منهما الآخر فيذهب ظلام هذا بضياء هذا، وضياء هذا بظلام هذا، وكلّ منهما يطلب الآخر طلباً حثيثاً أي سريعاً لا يتأخر عنه، بل إذا ذهب هذا جاء هذا والعكس بالعكس.

وخلق الشمس والقمر والنجوم مُسَخَّرَاتٍ.

{مُسَخَّرَاتٍ} أي مذلات جارية في مجاريها بتسخير الله تعالى لا تتقدم ولا تتأخر

{بِأَمْرِهِ} جل وعلا، والأمر مقابل للخلق كما قال سبحانه:

{أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ} يعني هو المتفرد بالخلق لا شريك له فيه

{(أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ)} الأمر الكوني القدري التشريعي، ومن هنا استدل أهل السنة والجماعة على أن

القرآن ليس بمخلوق لأنه من أمره جل وعلا.

وإنما الخلق يكون بأمره فهو ثمرة كن فيكون.

{تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ}

{تَبَارَكَ} أي عظم وتعالى وكثر خيره وإحسانها

انتهت المحاضرة الثالثة من الاصول الثلاثة

المحاضرة الرابعة في العقيدة: الأصول الثلاثة

يوم الخميس الموافق 26-7-2018

بشرح فضيلة الشيخ الاستاذ الدكتور/ طلعت زهران- حفظه الله
الدورة النسائية -مصر- الاسكندرية - العصفرة - جامع الامام مسلم

وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل:

الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرغبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة وأنواع العبادة التي أمر الله بها مثل:

الإسلام، والإيمان، والإحسان، ومنه الدعاء، والخوف، والرجاء، والتوكل، والرغبة، والرغبة، والخشوع، والخشية، والإنابة، والاستعانة، والاستعاذة، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغير ذلك من أنواع العبادة التي أمر الله بها كلها الله تعالى.

أَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ كَثِيرَةٌ، فَمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَيْءٍ أَمَرَ اسْتِحْبَابٍ أَوْ أَمَرَ إِجْبَابٍ إِلَّا وَهُوَ عِبَادَةٌ، وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا أَتَى عَلَى فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ إِلَّا وَهُوَ عِبَادَةٌ، وَمَا أَتَى عَلَى فَاعِلِيهِ أَوْ رَتَبِ الْأَجْرِ عَلَى فِعْلِهِ إِلَّا وَهُوَ عِبَادَةٌ.. فَالْعِبَادَةُ كُلُّ مَا رَضِيَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

التي أمر الله بها كلها الله تعالى.

أَنْوَاعُ الْعِبَادَةِ كَثِيرَةٌ، فَمَا أَمَرَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ بِشَيْءٍ أَمَرَ اسْتِحْبَابٍ أَوْ أَمَرَ إِجْبَابٍ إِلَّا وَهُوَ عِبَادَةٌ، وَمِثْلُ ذَلِكَ مَا أَتَى عَلَى فِعْلٍ أَوْ قَوْلٍ إِلَّا وَهُوَ عِبَادَةٌ، وَمَا أَتَى عَلَى فَاعِلِيهِ أَوْ رَتَبِ الْأَجْرِ عَلَى فِعْلِهِ إِلَّا وَهُوَ عِبَادَةٌ.. فَالْعِبَادَةُ كُلُّ مَا رَضِيَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ.

مِثْلُ: الْإِسْلَامُ، وَالْإِيمَانُ، وَالْإِحْسَانُ أَصُولٌ يَنْدَرُجُ تَحْتَهَا سَائِرُ الْعِبَادَاتِ، فَكُلُّ الْعِبَادَاتِ الْقَوْلِيَّةِ وَالْعَمَلِيَّةِ سِوَاءٍ كَانَتْ عَمَلِ الْجَوَارِحِ أَوْ الْقَلْبِ إِنَّمَا تَرْجِعُ إِلَى هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ.

وهي: أنواع باعتبار أنها جنس، ويدخل تحتها

الدُّعَاءُ، وَالْخَوْفُ، وَالرَّجَاءُ، وَالتَّوَكُّلُ، وَالرَّغْبَةُ، وَالرَّهْبَةُ، وَالْخُشُوعُ، وَالْخَشْيَةُ، وَالْإِنَابَةُ، وَالْإِسْتِعَانَةُ، وَالْإِسْتِعَاذَةُ، وَالْإِسْتِغَاثَةُ، وَالذَّبْحُ، وَالنَّذْرُ، وَغَيْرُ ذَلِكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعِبَادَةِ: كَالصَّبْرِ وَبِرِ الْوَالِدِينَ وَصَلَةِ الْأَرْحَامِ وَالْجِهَادِ وَنَحْوِهَا.

والدليل قوله تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} الجن آية: 18، فمن صرف منها شيئاً لغير الله فهو مشرك كافر.

والمناسبة أن العبادة تفعل في هذه البيوت من الصلاة فرضاً ونفلًا والاعتكاف وقراءة القرآن ونحو ذلك أو أن يفسر هنا بأعضاء السجود وكلاهما مراد ولا مانع بحمل اللفظ على معنيين. {فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا}، الدعاء بمعنييه دعاء العبادة ودعاء المسألة. فالدعاء هنا بالمعنى الأعم ويكون مرادفًا للعبادة، فحينئذٍ نهى الرب جل وعلا في هذا النص بأن نصرف أي نوع من أنواع العبادة لغيره جل وعلا.

لا يجوز صرف شيء من هذه العبادات لغير الله عز وجل، ثم أكد هذا المعنى بقوله: (فَمَنْ صَرَفَ مِنْهَا) ولو شيئاً يسيراً من العبادة لغير الله عز وجل، فَهُوَ مُشْرِكٌ (الشرك الأكبر (كَافِرٌ) وهنا المصنف جمع بين اللفظين.

فهما بمعنى واحد، ولا ينبغي علي هذا الخلاف ثمره في الدنيا. فلا يُصَلَّى عليه ولا يَرِثُ، ولا يُورَثُ إلى آخره، وكذلك في الآخرة هو خالدٌ مخلدٌ في النار.

وإذا أطلق الشرك انصرف إلى الأكبر وإذا أطلق الكفر انصرف إلى الأكبر.

والدليل قوله تعالى: {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} المؤمنون آية: 117 وفي الحديث: "الدعاء مخ العبادة" الترمذي: كتاب الدعوات (3371)

الدليل على أن من دعا مع الله غيره مُشْرِكٌ كَافِرٌ:

{وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ} لا حجة له صحيحة {فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ} سيحاسب ثم نتيجة الحساب {إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ} مطلقاً ونفي الفلاح يدل على هلاكهم مطلقاً وأنهم من أهل النار خالدين فيها)

وفي حديث النعمان بن بشير: «الدُّعَاءُ هُوَ الْعِبَادَةُ».

والدليل قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} غافر آية: 60.

بعدما قَعَدَ لنا قاعدة عامة أراد المصنف رحمه الله أن يستدل على كل لفظٍ ذكره من أنواع العبادات بأنه عبادة لأن العبادات توقيفية.

وقد لا يوجد في بعض العبادات إلا الأدلة الكلية العامة فنثبت أولاً وهذا لا بد منه أنه عبادة ثم نواكبهم على الأدلة العامة (وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا) وكذلك قوله: {وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ} إلى آخره {إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الْكَافِرُونَ}.

إذا الدعاء عبادة، والدليل قوله تعالى: {وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ}

أي حقيرين ذليلين صاغرين. وجه الدلالة أن الله سمي الدعاء عبادة فأمر بالدعاء ووعده بالإجابة. إذا من صرف الدعاء لغير الله تعالى فقد وقع في الكفر.

ودليل الخوف قوله تعالى: {فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} آل عمران آية: 175. الخوف عبادة ولا يجوز صرفه إلا لله تعالى. والمراد هنا خوف السرّ، وهو الخوف من غير الله عز وجل يعني من صاحب قبرٍ أو وليٍّ من الأولياء أن يصيبه بمكروه.

فَلَا تَخَافُوا من أولياء الشيطان {وَخَافُوا} مفهومه إن لم تكونوا مؤمنين فلا تخافوني، فالخوف عبادة ولا يجوز صرفه لغير الله عز وجل، وليس المراد به الخوف الطبيعي الذي يكون من البهائم ونحوها والحيوانات أو الوحوش، وإنما المراد به خوف السرّ.

كما قال تعالى عن قوم هود: {إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ} [هود: 54] فهم يعتقدون أنها يخاف منها.

ودليل الرجاء قوله تعالى: {فَمَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}. الكهف آية: 110

وَالرَّجَاءِ عبادة فَمَنْ كَانَ يَرْجُو: يعني يطمع مع العمل، وأما أن يرجو ثواب الله ويأمل لقاءه ورويته تعالى دون أن يعمل فلا يسمى رجاءً شرعياً. وهو لقاء خاصّ بالمؤمنين لقاء الرضا والنعيم من الله سبحانه وتعالى.

فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا: هنا رتب العمل الصالح على الرجاء، {وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا}، أي لا يجعل مع الله تعالى شريكًا في عبادته، لذلك قال: {أَحَدًا} هذا نكرة في سياق النهي فيعم، حينئذٍ ثم عمومان في مثل هذه النصوص:

العموم الأول في الشرك نفسه قليله وكثيره.

والعموم الثاني في المُشْرِك به. الذي تصرف له العبادات يعني: سواءً كان ملكًا مقربًا أو نبيًا أو من دون ذلك من البشر أو المخلوقات.

ودليل التوكل قوله تعالى: {وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} المائدة آية: 23. وقال: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} الطلاق آية: 3.

التَّوَكَّلْ عبادة لله عز وجل.

{وَعَلَى اللَّهِ} لا على غيره، تَوَكَّلُوا: كذلك دلّ النص على أنه لا يجوز صرفه لغير الله عز وجل. ولذلك قال: {إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ} جعله شرطًا لصحة الإيمان. فلا يصح الإيمان إلا مع وجود التوكل، والتوكل هو الاعتماد على الله عز وجل وتفويض الأمور إليه جل وعلا. ثم ذكر آية تدل على ثمره هذه العبادة القلبية العظيمة ... وقال أي عز وجل: {وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ} [الطلاق: 3]، أي كافيته. ومن كان الله كافيته فلا مطمع لأحد فيه.

وحقيقة التوكل يجمع شيئين تفويض الأمر إلى الله عز وجل وعدم رؤية السبب بعد عمله. إذا لا بد من الأمرين.

ودليل الرغبة والرغبة والخشوع قوله تعالى: {إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ} الأنبياء آية: 90

جمع بينها لأنها متقاربة، فالرغبة رجاء خاص، والرغبة خوف خاص، والخشوع التظامن والذل. إذا كل منها قريب من الآخر.

فأثنى الرب جل وعلا على الأنبياء والمرسلين ومن صفاتهم ومساعدتهم الخير يدعوننا رَغَبًا في رحمتنا وَرَهَبًا من عقوبتنا وَكَانُوا لَنَا خَاضِعِينَ متذللين.

ودليل الخشية قوله تعالى {فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي}. البقرة آية: 150

الخشية خوفٌ يشوبه تعظيم وأكثر ما يكون ذلك عن علمٍ بما يخشى منه. {إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ} [فاطر: 28].

ولا تخشوا الناس فإنني وليكم، وأمر بخشيته وحده جل وعلا.

ودليل الإنابة قوله تعالى: {وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا لَهُ}. الزمر آية: 54

الإنابة: الرجوع للشيء مرة بعد مرة. قال بعضهم: الإنابة توبة مع رجوعٍ إلى حالٍ أحسن. فإذا تاب واستمر على التوبة وعدم مقاربة الذنب فهو منيب، فكل منيب تائب ولا عكس، فهي توبة وزيادة.

أنيبوا: أي أرجعوا إليه جل وعلا بالطاعة،

{وَأَسْلُمُوا لَهُ} أي أخلصوا له التوحيد. قال شعيب: {عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ}

ودليل الاستعانة قوله تعالى: {وَإِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} الفاتحة آية: 5. وفي الحديث: "إذا استعنت فاستعن بالله". الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع (2516) , ومسند أحمد (1/293, 1/303, 1/307) .

الاستعانة: طلب العون وهي تجمع أصليين اثنين كما قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الثقة بالله تعالى بأنه ناصره وكافيه والاعتماد عليه دون ما سواه.

{وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} أي لا نستعين إلا بك.

فالعبادة قد يقصر عنها العبد لو ترك شأنه لا يستطيع أن يقوم بها على وجه الكمال، فحينئذٍ لا بد من معينٍ له ولا معينٍ إلا الله عز وجل.

وإذا استعنت فلا تستعن إلا بالله تعالى.

والمراد هنا الاستعانة فيما لا يقدر عليه إلا الله عز وجل، وإذا استعين بحيٍّ حاضرٍ قادرٍ فيما يقدر عليه فلا بأس به. **انتهت المحاضرة الرابعة**

المحاضرة الخامسة في العقيدة: الأصول الثلاثة

يوم الخميس الموافق 2-8-2018

بشرح فضيلة الشيخ الاستاذ الدكتور/ طلعت زهران- حفظه الله
الدورة النسائية -مصر-الاسكندرية - العصافرة - جامع الامام مسلم

ودليل الاستعاذة قوله تعالى: {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ} الفلق آية: 1، و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ}.
الناس آية: 1

الاستعاذة مأخوذة من العوذ وهي الاعتصام والالتجاء إلى من تعتقد أنه يعيذك ويُلجئك وهو
الله عز وجل.

{قُلْ} هذا أمرٌ للنبي - صلى الله عليه وسلم -، والأمر للنبي - صلى الله عليه وسلم -
أمر لأئمة

(أَعُوذُ) أي ألتجئ وأعتصم وألوذ، وهذا فيه طلب العوذ بالقول واللسان لكن محل الاستعاذة
في الأصل هو القلب.

{بِرَبِّ الْفَلَقِ} أي بفالق الإصباح، الفلق هو الصبح،
و {قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ} أي ألتجئ وأعتصم وألوذ بخالقهم ومالكهم، فدل أن الاستعاذة
عبادة.

ويقال في الاستعاذة ما يقال في الاستعانة، أن الاستعاذة بالشخص الحي القادر الحاضر لا
بأس بها، وأما الاستعاذة بالميت مطلقاً سواء كانت في ما يقدر عليه وما لا يقدر يعتبر شركاً
أكبر، وإن كان حياً حينئذ لا بد أن يكون حاضراً ويكون قادراً على ما استعيز به.

ودليل الاستغاثة قوله تعالى: {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَبَ لَكُمْ}. الأنفال آية: 9
(وَدَلِيلُ الْإِسْتِغَاثَةِ) طلب الغوث السين هنا للطلب، وطلب الغوث المراد به الإنقاذ من الضيق
والشدة، الاستعانة طلب العون، والاستغاثة طلب إزالة الشدة الواقعة، (قَوْلُهُ تَعَالَى: {إِذْ}) هذا
ظرف لما مضى يفسر بمعنى حين {إِذْ تَسْتَغِيثُونَ} يعني حين تستغيثون، وهي ملازمة
للإضافة إلى الجمل

وألزموا إضافة للجمل حيث واذ

{إِذْ تَسْتَغِيثُونَ} أي تستجيرون ربكم وتطلبون منه الغوث {فَاسْتَجَابَ لَكُمْ} ولذلك يقال: غياث المستغيثين، وهنا جاء في معرض الثناء وإذا أثنى الله عز وجل على قوم في صفةٍ دل على أن تلك الصفة مرضيةٌ عنده جل وعلا، وإذا كانت مرضية فهي عبادة، وصرفها لغير الله يعتبر من الشرك.

والاستغاثة يقال فيها ما قيل في الاستعانة والاستعاذة. يعني لا بد من التفريق بين الميت والحي بين ما يقدر عليه وما لا يقدر عليه.

ودليل الذبح قوله تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَا شَرِيكَ لَهُ}. الأنعام آية: 162-163

ومن السنة: "لعن الله من ذبح لغير الله. مسلم: كتاب الأضاحي (1978)

{وَنُسُكِي} فيه تفسيران أي: عبادتي وهذا عام يكون من باب عطف العام على الخاص. ولذلك يقال: صاحب نسك، أو متنسك، ونسك الحج أي عبادة الحج، التفسير الثاني بمعنى الذبيحة.

{وَمَحْيَايَ} يعني أمر حياتي {وَمَمَاتِي} أي أمر موتي لله رب العالمين * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ}.

«لَعَنَ اللَّهُ مَنْ ذَبَحَ لِغَيْرِ اللَّهِ» اللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله تعالى، وهذا يقتضي تحريم الفعل.

دل الحديث على أن الذبح عبادة لأن الله تعالى لعن من صرفها لغيره.

ودليل النذر قوله تعالى: {يُؤْفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا}. الإنسان آية: 7
النذر لغة أن توجب على نفسك ما ليس بواجب، أي الإيجاب.

واصطلاحاً إلزام المكلف نفسه شيئاً ليس بواجبٍ تعظيماً للمنذور له وتقرباً، وهو نوعان: نذر محمود، ونذر مكروه.

نذر محمود: هو المطلق الذي لا يكون معلقاً بسبب، لله كذا أن أفعل، والوفاء به واجب.

ونذر مكروه: وهو المقيد، إن شفيت مريضتي ففعلت كذا وكذا.

وهو مكروه من حيث الإقدام، وواجب من حيث الوفاء.

قَوْلُهُ تَعَالَى: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ} هذا في سياق المدح والثناء، وعلمنا أن ما أثنى الله تعالى عليه أو على فاعليه دلّ على أنه لم يفعل إلا عبادة فصار النذر عبادة. عبادة من حيث الوفاء بذلك المندور به. {وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَتْ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} يعني منتشراً عاماً بين الناس.

(الأصل الثاني) : معرفة دين الإسلام بالأدلة

وهو الاستسلام لله بالتوحيد، والانقياد له بالطاعة، والبراءة من الشرك وأهله. (دين الإسلام) دين هو ما يتدبّر به الإنسان، يتضمن معنى الخضوع. وفي الشرع ما شرعه الله على لسان رسوله - صلى الله عليه وسلم. (الإسلام) الإسلام العام، وهو معنى التوحيد {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} [النحل: 36]، معنى متفق عليه بين الرسل، وهو أعلى درجات الإجماع القطعي، {إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ} [آل عمران: 19]. وأما الإسلام الخاص فهو ما جاء به محمدٌ - صلى الله عليه وسلم - فيشمل الأصول والفروع، فلا يختص بالتوحيد دون الفروع. والمراد بالإسلام هنا الإسلام الخاص لأن العبد سيسأل في قبره عن هذه الأسئلة من ربك؟ ما دينك؟ من نبيك؟

وهو عام من جهة أنه يشمل الإيمان والإحسان. (بالأدلة) هذا متعلق بقوله: (معرفة) يعني معرفة سببها الأدلة (الإستسلام) المراد به الانقياد والخضوع والإذعان (لله). بالتوحيد: أن تذلل وتخضع لله تعالى بما يستحق من الربوبية والإلهية والأسماء والصفات استسلاماً شرعياً.

وأما الاستسلام القدري، ما يعبر بالحكم الكوني هذا يستوي فيه جميع المخلوقات، {وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ} [آل عمران: 83] (الإنقياد) ولا يكون الانقياد إلا إذا خضع وذل.

بِالطَّاعَةِ: هنا بمعنى العبادة، والطاعة تكون بفعل المأمور واجتناب المحذور.
(وَالْبَرَاءَةُ مِنَ الشُّرْكِ وَأَهْلِهِ). قال تعالى: {وَاعْبُدُوا اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا} [النساء: 36] وهذا يلزم منه انتفاء الشرك لأنه لا تقوم العبادة ولا تصح إلا بانتفاء الشرك.
فالإسلام والكفر نقيضان لا يجتمعان ولا يرتفعان، لا يجتمعان في شخص واحد فيقال هو مسلمٌ من وجهٍ كافر من وجه، ولا يرتفعان بأن يكون ثم شخص لا يوصف بكونه مسلماً ولا كافراً، ولذلك يحال شرعاً أن يكون الشخص موصوفاً بالإسلام متلبساً بالشرك، فيقال إنه موحدٌ. هذا محال ولا يكون في الشرع البتة.
وهو ثلاث مراتب: الإسلام والإيمان والإحسان.
(مَرَاتِبُ) جمع مرتبة، والرتبة هي المنزلة العالية، يقال: رتب الشيء ترتيباً نظماً وقارن بعضه ببعض وجعله في مرتبته.
وكونها ثلاثة لحديث جبرائيل المشهور قال: ما الإسلام؟ ما الإيمان؟ ما الإحسان؟ ثم قال في آخر الحديث: «هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم».
صار الدين محصوراً في هذه الثلاث، وهذا التقسيم تقسيم شرعي، بمعنى أنه لا يجوز الزيادة عليه كما أنه لا يجوز النقص منه البتة.
وكل مرتبة لها أركان.
أراد المصنف التغليب لأن الإسلام له أركان وهي خمسة، والإيمان له أركان وهي ستة، (وَالْإِحْسَانُ) وسينص هو بأنه له ركنٌ واحد فحسب وليس له أركان وإنما هو ركنٌ واحد. فحينئذٍ يكون أطلق الكل وأراد به البعض وهو الإسلام والإيمان.
فأركان الإسلام خمسة: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج بيت الله الحرام.
بني الإسلام على خمسٍ لا يزداد ولا ينقص؛ لحديث ابن عمر في الصحيحين.
الركن الأول: شَهَادَةُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ
الشهادة لله عز وجل بالوحدانية، والشهادة لمحمد - صلى الله عليه وسلم - بالرسالة، وهما شِقَانٌ وهما ركن واحد.

فدليل الشهادة: قوله تعالى: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} آل عمران آية: 18. ومعناها لا معبود بحق إلا الله " لا إله " نافيا جميع ما يعبد من دون الله " إلا الله " مثبتا العبادة لله وحده لا شريك له في عبادته كما أنه لا شريك له في ملكه، وتفسيرها الذي يوضحها قوله تعالى: {وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ} الزخرف آية: 26-27-28 وقوله: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ}. آل عمران آية: 64.

انتهت المحاضرة الخامسة

تفريغ المحاضرة السادسة في العقيدة: الأصول الثلاثة

يوم الخميس الموافق 9-8-2018

بشرح فضيلة الشيخ الاستاذ الدكتور/ طلعت زهران- حفظه الله
الدورة النسائية -مصر-الاسكندرية - العصابة - جامع الامام مسلم

تابع الاصل الثانى : معرفة دين الإسلام بالادلة

قال أهل العلم: الشهادة خبر قاطع، مقطوع به، لأنها أعظم شهادة في الوجود على أعظم مشهود به حينئذ لا ينصرف الذهن إلا إلى هذين النوعين، الشهادة لله عز وجل بالوحدانية، والشهادة لرسوله - صلى الله عليه وسلم - بالرسالة.

{شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} شهد بمعنى أَخْبَرَ وَبَيَّنَّ وَأَعْلَمَ وَحَكَّمَ وَقَضَى أن ما سواه ليس بإله، يعني نفي الإلهية عما سوى الله عز وجل، فلا يستحق العبادة سواه جل وعلا كما لا تصلح الإلهية لغيره ويلزم من ذلك أمر المخلوقين بأن يتخذوه إلهًا، فلا تصرف العبادة لسواه جل وعلا. وأن القيام بذلك هو خالص حقه عليهم. ويعبر عن هذا الاعتقاد أمران:
الأول: اللسان.

والثاني: العمل بالجوارح والأركان.

فالله عز وجل هو الشاهد، وقرن شهادته وشهادة الملائكة، وأهل العلم أي أصحاب العلم الشرعي وهذا فيه منقبة عظيم لأهل العلم حيث أخبر أنهم شهداء مع الله عز وجل ومع ملائكته، والمراد بهم أولوا العلم بشريعته، ويدخل فيهم دخول أوليائهم رؤس الكرام {قَائِمًا بِالْقِسْطِ}، {قَائِمًا} {بِالْقِسْطِ} أي بالعدل، والعدل يكون في القول، وفي الفعل، وفي الحكم، فهو عز وجل حكمه عدلٌ، وقوله عدلٌ، وفعله عدلٌ {لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} تأكيد لقوله: {شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} فيه تقرير العبادة بأنه لا يستحقها إلا الله عز وجل {الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} اسمان علما على الرب جل وعلا متضمنان بصفتين وهما العزة والحكمة.

ودليل شهادة أن محمدا رسول الله قوله تعالى: {قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ}. التوبة آية: 128

ومعنى شهادة أن محمداً رسول الله: طاعته فيما أمر، وتصديقه فيما أخبر، واجتناب ما عنه نهى وزجر، وأن لا يعبد الله إلا بما شرع.

{لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ} وأكده بالقسم وباللام الموطئة للقسم وبقد، هذه ثلاث مؤكدات. {مَنْ أَنْفُسِكُمْ} أي من جنسكم تعرفون نسبه وصدقه ليس بملك فلا تستطيعون مخاطبته والجلوس معه، بل هو بشر يتمكنون من سؤاله متى شاءوا

{عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ} العنت بمعنى المشقة، يعني يشق عليه ما شق عليكم من الأثقال والأغلال، وهذا من رحمته - صلى الله عليه وسلم.

{حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ} أي على هدايتكم وإنقاذكم من النار وعلى ما ينفعكم في الدنيا والآخرة

{رَوْوْفٌ رَحِيمٌ} يعني رأفته ورحمته خاصة بالمؤمنين

وفيها بيان منة الله تعالى على خلقه ببعثه هذا النبي الأمي والرسول الكريم، وقد وصفه الله عز وجل في الآية بالصفات السابقة

(وَمَعْنَى شَهَادَةِ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ)

(طَاعَتُهُ فِيمَا أَمَرَ) ووجوب طاعته - صلى الله عليه وسلم - ثابتة بالنصوص المتكاثرة من الكتاب والسنة، وقد قرن سبحانه طاعته بطاعته ... {مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} [النساء: 80] رتب هذه الطاعة على طاعة الرسول، في غير موضع من كتابه، ومن عصاه فقد عصى الله، ومن عصى الله فله النار.

قال ابن تيمية رحمه الله تعالى: فإن الله خلق الخلق لعبادته كما قال تعالى: {وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ} [الذاريات: 56] وإنما تعبدهم بطاعته وطاعة رسوله، فلا عبادة إلا ما هو واجب أو مستحب في دين الله، وما سوى ذلك فضلالٌ عن سبيله، ولهذا قال - صلى الله عليه وسلم - : «مَنْ عَمِلَ عَمَلًا لَيْسَ عَلَيْهِ أَمْرُنَا فَهُوَ رَدٌّ» أخرجاه، وقد ذكر الله طاعة الرسول وإتباعه في نحو من أربعين موضعاً من القرآن الكريم كقوله تعالى: {مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ} في نحو من أربعين موضعاً أمر بطاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم - وقرن بين الطاعتين بل رتب طاعة الرب جل وعلا على طاعة الرسول - صلى الله عليه وسلم.

(فِيمَا أَمَرَ) يعني في كل ما أمر به
(وَتَصْدِيقُهُ فِيمَا أَخْبَرَ) به من الغيب

فكل شيء أخبر به فهو حق وصدق لا كذب فيه ولا امتراء.

(وَاجْتِنَابُ) يعني ترك (مَا عَنْهُ نَهَى وَزَجَرَ)، فيعم، كل ما نهى عنه النبي - صلى الله عليه وسلم نهى تحريم أو نهى كراهة، (وَزَجَرَ) وهذا نهى بشدة، فيكون من باب عطف الخاص على العام، كأن الزجر هنا بمعنى التحريم، ونهى يكون عاماً شاملاً للكرهية والتحريم. قال الله تعالى: {وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمُ عَنْهُ فَانْتَهُوا} [الحشر: 7] وقال - صلى الله عليه وسلم -: «ما أمرتكم به فأتوا منه ما استطعتم وما نهيتكم عنه فاجتنبوه».

(وَأَنْ لَا يُعْبَدَ اللَّهُ إِلَّا بِمَا شَرَعَ) هذه قاعدة عامة وهي الشرط الثاني من شرطي صحة العبادة لا بالبدع ولا بالأهواء، ولذلك قال - صلى الله عليه وسلم -: «من عمل عملاً ليس عليه أمرنا فهو رد».

ودليل الصلاة، والزكاة، وتفسير التوحيد: قوله تعالى: {وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقِيَمَةِ}. البينة آية: 5

{وَمَا أُمِرُوا} أي وما أمر الذين كفروا {إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} هذا هو معنى لا إله إلا الله، وهو الشاهد من قوله: وتفسير التوحيد {لِيَعْبُدُوا اللَّهَ}، أي إلا ليوحدوا الله تعالى ويفردوه بالعبادة {مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ} العمل، {حُنَفَاءَ} مائلين عن الأديان كلها إلى دين الإسلام، قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ما أمروا في التوراة والإنجيل إلا بإخلاص العبادة لله موحدين كما أمروا في القرآن. يعني التوحيد أمروا به في التوراة، وأمروا به في الإنجيل، وكذلك أمروا به في القرآن. وهو دعوة جميع الرسل. {حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ} أي وليقيموا الصلاة، الصلاة أي المكتوبة {وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ} وهي الواجبة، {وَذَلِكَ} أي الذي أمروا به في هذه الآية {دِينُ الْقِيَمَةِ} يعني الملة والشريعة المستقيمة التي لا اعوجاج فيها، وهذه الآية تدل على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة وهو الصحيح

ودليل الصيام قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ} البقرة آية: 183

(وَدَلِيلُ الصِّيَامِ) وأنه أحد أركان الإسلام الخمسة (قَوْلُهُ تَعَالَى) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ} أي فرض عليكم تشبيهه فرض فرض فقط.

ودليل الحج قوله تعالى: {وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ}. آل عمران آية: 97

هذا من الأدلة التي استدلت بها بعض الأصوليين على أن الكفار مخاطبون بفروع الشريعة، لأن الناس لفظ عام لا يختص به المؤمنون، فرض واجب لأن على هنا للوجوب فهي ظاهرة في الوجوب، {حِجُّ الْبَيْتِ} أي قصده لأداء النسك {مَنِ اسْتَطَاعَ} أي المستطيع ففيه تخصيص بالبدل {مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا} أي طريقاً {وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} يعني ومن تركه فسماه الله عز وجل كافراً، ونحن نسميه كما سماه الله عز وجل، لكن لا نقول كفر مخرج من الملة إلا إذا جحده {فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ} أي كثير الخير لا يحتاج إلى عبادة أحد من الخلق سبحانه وتعالى.

المرتبة الثانية: الإيمان: وهو بضع وسبعون شعبة: فأعلاها قول لا إله إلا الله، وأدناها إمطة الأذى عن الطريق، والحياء شعبة من الإيمان.

الإيمان: في لسان العرب التصديق

وفي الشرع: التصديق الذي لا بد أن يكون معه الإقرار

ولذلك لما وقف أهل البدعة مع تعريف الإيمان بأنه التصديق فحسب أخرجوا القول وأخرجوا عمل الجوارح عن مسمى الإيمان.

الإيمان في الشرع له إطلاقان.

الأول: أن يطلق على الأفراد غير مقترن بذكر الإسلام حينئذ يراد به الدين كله. قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: لفظ الإيمان إذا أطلق يراد به ما يراد بلفظ البر ولفظ التقوى ولفظ الدين، فكل ما يحبه الله ورسوله يدخل في لفظ الإيمان.

الثاني أن يطلق مقروناً بالإسلام كما في حديث جبرائيل فحينئذ يراد به الاعتقادات الباطنة، كما في حديث جبرائيل المشهور.

مثال الأول: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ * أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} [الأنفال: 2 - 4]. إذا يدخل في مسمى الإيمان إذا أطلق العملان الباطن والظاهر، ثم أكد ذلك المعنى {أُولَٰئِكَ} أي الموصفون بما ذكر من الأعمال الباطلة والظاهرة {هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا} هذا نص واضح بين لا يمتري فيه اثنان عاقلان ممن عرفا لغة العرب أن إنما هنا للحرص.

وحديث «لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة»، وهنا أطلق لفظ الإيمان ، فدل ذلك على أن الإسلام داخل في مفهوم الإيمان إذا أطلق والإسلام المراد به هو العمل الظاهر. وفي حديث وفد عبد القيس في الصحيحين قال النبي - صلى الله عليه وسلم - «أمركم بالإيمان بالله وحده» هنا لم يذكر الإسلام ، ثم سألهم عن الإيمان «أتدرون ما الإيمان بالله وحده؟» قالوا: الله ورسوله أعلم. فقال عليه الصلاة والسلام: «شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصيام رمضان، وأن تؤدوا من المغنم الخمس» هذا تفسير بالعمل الظاهر لمسمى الإيمان، فعرفه بالشهادتين وأركان الإسلام، وأدخل فيه «أن تؤدوا من المغنم الخمس» ولا شك أن هذا الأخير ليس من أركان الإسلام، وإنما هو عمل ظاهر وهو داخل في مسمى الإيمان.

قال ابن القيم، رحمه الله تعالى معلقاً على هذا الحديث إن الإيمان بالله هو مجموع هذه الخصال من القول والعمل كما علم ذلك أصحاب رسول الله، صلى الله عليه وسلم، والتابعون وتابعوهم، وعلى ذلك ما يقارب من مائة دليل من الكتاب والسنة، بل هذا أمر متواتر معلوم من الدين بالضرورة بأن الإيمان مجموع القول والعمل، وهذا فيما إذا أطلق لفظ الإيمان. وفي الصحيحين: "الإِيمَانُ بَضْعٌ وَسَبْعُونَ شُعْبَةً، فَأَعْلَاهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَدْنَاهَا إِمَاطَةُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ".

فأعلاها قولٌ وأدناها عملٌ، إذا الإيمان بين هذه المراتب الأعلى والأدنى ومنه ما هو قول ، ومنه ما هو عمل. وسمى الله تعالى الصلاة إيماناً كما قال تعالى: {وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ} [البقرة: 143]. قاعدة العرب أن الإيمان مركب.

فإذا أطلق اللفظ الإيمان فقد عرّفه السلف بأنه ما اجتمع فيه ركنان: القول، والعمل. القول قول القلب واللسان، والعمل عمل القلب والجوارح والأركان. فالأعمال كلها داخلة في مسمى الإيمان. قال الأوزاعي رحمه الله تعالى: كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان. وهذا حكاية إجماع: كان من مضى من السلف لا يفرقون بين العمل والإيمان. قال البخاري رحمه الله تعالى: لقيت أكثر من ألف رجل من العلماء بالأمصار فما رأيت أحدًا منهم يختلف في أن الإيمان قولٌ وعمل يزيد وينقص.

وأما إذا قيل الإيمان بالإسلام فلا إشكال في أن الإيمان يكون مختصًا بالأعمال الباطنة والإسلام يكون مختصًا بالأعمال الظاهرة.

القول باللسان مثل ماذا؟ نقول القول باللسان منه ما زواله مزيل لوصف الإيمان كقول لا إله إلا الشهادتين وهذا فيما إذا كان كافر أصلًا، ومنه فواته ما لا يزيل وصف الإيمان كالتسبيح والذكر والقراءة ونحوها بل هي مكملّة للأصل من حيث الكمال يعني: مستحب، وعمل الجوارح والأركان كذلك يقال منه ما زواله يؤدي إلى زوال الإيمان من أصله، ومنه ما لا يزول الإيمان بزواله كالسنن والرواتب والصيام والتطوع والصدقات ونحوها.

انتهت المحاضرة السادسة

تفريغ المحاضرة السابعة في العقيدة: الأصول الثلاثة

يوم الخميس الموافق 30-8-2018

بشرح فضيلة الشيخ الاستاذ الدكتور/ طلعت زهران- حفظه الله
الدورة النسائية - مصر- الاسكندرية - العاصفة - جامع الامام مسلم

باقي شرح الاصل الثاني: معرفة دين الاسلام بالادلة:

وأركانه ستة: أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره.

(وَأَرْكَانُهُ) والمراد هنا أصول الإيمان التي تتركب منها، وبزوالها يزول الإيمان، (سِتَّةٌ) وهذا بدليل حديث جبرائيل، وكذلك الإجماع على ذلك.

الركن الأول: (أَنْ تُؤْمِنَ بِاللَّهِ)، وهذا أعظم أركان الإيمان، وهو أصل الأصول، وما عداه فهو متفرع عنه. والمراد به بوجوده جل وعلا. والإيمان بربوبيته، والإيمان بأسمائه وصفاته، والإيمان بآلوهيته.

(وَمَلَائِكَتِهِ) وهو التصديق بوجودهم وبما وُكِّلَ إليهم من أعمال، فنؤمن بهم على جهة الإجمال في الإجمالي، وعلى جهة التفصيل في التفصيل، والملائكة عالم غيبي خلقهم الله تعالى من نور عابدون لله تعالى {لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ} [التحريم:6] {وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ * يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ} [الأنبياء: 19، 20] وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله تعالى كما قال سبحانه: {وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر: 31]، وجاء في الحديث («إن البيت المعمور في السماء السابعة حيال الكعبة يزوره كل يوم سبعون ألف ملك لا يعودون إليه»)

والإيمان بالملائكة يتضمن أربعة أشياء:

الإيمان بوجودهم. وأنهم مخلوقون من نور، والإيمان بأسمائهم ممن علمنا الله تعالى أو نبيه اسمه كجبرائيل، وكذلك من لم نعلم اسمه. والإيمان بما علمنا من صفاتهم، كصفة جبرائيل وقد أخبر النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه رآه هل صفته التي خُلقَ عليها وله

ستمائة جناح قد سد الأفق يسقط من جناحه من التهاويل والياقوت ما الله به عليم،
والتهاويل هي الأمور المختلفة الألوان.

والإيمان بما علمنا من أعمالهم ووظائفهم التي ثبتت بالنصوص. وأما ما لم يرد حينئذٍ نقول:
الأصل في الإيمان بالملائكة أنه غيب.

(وَكُتِبَ) والمراد بها الكتب السماوية التي أنزلها الله تعالى على رسله إلى عباده بالحق
والهدى. ويجب الإيمان بالإجمال في الإجمالي، والتفصيل عند التفصيل. فالإيمان بما علمنا
اسمه منها، كالقرآن والتوراة والإنجيل والزيور، وأما ما لم نعلم اسمه فنؤمن به إجمالاً. مع
الإيمان بما ثبت فيها من أخبار تصديقاً بها، وأن جميعها يُصدق بعضها بعضاً لا يكذبه لأنها
من عند ربه. والعمل بما أمر العبد فيها من مأمورات. واجتناب المنهيات.

(وَرُسُلِهِ) أي بأن الله تعالى قد بعث في كل أمة رسلاً يدعوهم إلى عبادة الله وحده لا شريك
له، والكفر بما يعبد من دونه، وهذا متفق عليه بين الرسل وهو أعلى درجات الإجماع
القطعي، اتفاق على دعوة التوحيد، فدعوتهم من أولهم إلى آخرهم متفقة على أصل الدين
وهو توحيد الله عز وجل. والمراد هنا جنس الرسل فشمّل الأنبياء، فكل من أُوحي إليه وجب
الإيمان به سواء كان رسولاً نبياً، ولا يكون رسول إلا وكان نبياً، أو كان نبياً وليس برسول.

(وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) وسمي بذلك لأنه لا يوم بعده هو آخر الأيام، والإيمان به يعني التصديق بهذا
اليوم وأنه كائن، ويتعلق بالحياة بعد الموت ويشمل الدور الثلاثة: حياة البرزخ، وفي
المحشر، والحياة في النار أو في الجنة، ومنه أشرط الساعة. وصفات الجنة والنار وصفات
النار

(وَالْقَدَرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ). والقدر بفتح الدال والمراد به تقدير الله تعالى لما سيكون حسبما سبق
به علمه واقتضته حكمته، ويشتمل على أربعة مراتب:

العلم، والمشئنة، والكتابة، والخلق.

علم كتابة مولانا مشيئته ... وخلق وهو إيجاد وتكوين

الأولى: مرتبة العلم. وهو الإيمان بأن الله تعالى عالم بما كان، وما يكون، وكيف يكون،
يعني: بكل شيء جملةً وتفصيلاً من الموجودات والمعدومات والممكنات والمستحيلات. {هُوَ

اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ} [الحشر: 22]، الثانية: الإيمان بالكتابة، كتب ما علم أنه كائن إلى يوم القيامة في اللوح المحفوظ، قال الله تعالى: {أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [الحج: 70]

الثالثة: وهي مرتبة المشيئة: مشيئة الله النافذة وقدرته الشاملة، فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، كما قال سبحانه: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [يس: 82] والمشيئة لا تنقسم عند أهل السنة والجماعة فإذا أطلقت حينئذٍ يعنى به الإرادة الكونية. فحينئذٍ لا ينفي أن يكون العبد له قدرة وله مشيئة، وإنما تكون قدرته على الفعل القدرة الجازمة والمشيئة التي تكون من المخلوق لها أثر في إيجاد الموجودات لكنها مقيدة بمشيئة الرب جل وعلا.

الرابعة: مرتبة الخلق: الإيمان بأن جميع الكائنات مخلوقة لله تعالى، خالق كل عامل وعمله بذواتها وصفاتها وحركاتها، {اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ} [الزمر: 62].

وتؤمن (بِالْقَدْرِ خَيْرِهِ وَشَرِّهِ) فهل يُنسب إلى الله تعالى الشر؟ لا، ولذلك قال النبي - صلى الله عليه وسلم - : («والشر ليس إليك») فليس في فعله شر، وإنما يُنسب إلى مفعولاته جل وعلا، فالشر لا يضاف إلى فعل الله تعالى الذي هو صفة له، وإنما يضاف إلى مفعولاته سبحانه، يعني: مخلوقاته، فيقال: خلق الله تعالى لإبليس خيراً، وأما إبليس نفسه فهو الشر كله.

فَنَصِفُ المخلوق بالشرِّ ولا نصف الرب جل وعلا بفعله بأنه شرٌّ، ولذلك إذا جاء هذا الوصف في القرآن يأتي الفعل مبنياً لما لم يسم فاعله {أَشْرُّ أُرِيدَ بِمَنْ فِي الْأَرْضِ} [الجن: 10] حذف الفاعل هنا وأضيف الشرِّ إلى المفعول {مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ} [الفلق: 3] أضيف إلى السبب.

والدليل على هذه الأركان الستة: قوله تعالى: {لَيْسَ الْبِرُّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ}. البقرة آية: 177 {الْبِرُّ} اسم جامع لكل عملٍ من أعمال الخير.

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى: من اتصف بهذه الآية فقد دخل في عرى الإسلام كلها، وأخذ بمجامع الخير كله.

{أَنْ تُولُّوْا} ليس البر توليتكم إلى جهة المشرق والمغرب، هو من البر ولا شك، لكنه ليس البر كله في مسألة جزئية وهي التوجه إلى بيت المقدس، وإنما البر الحقيقي الكامل هو الإتيان بأصول الشريعة، ذكرها وهي خمسة، ودليل القدر ذكره المصنف بدليل خاص لأنه لم يرد في الآية السابقة.

ودليل القدر: قوله تعالى: {إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ}. القمر آية: 49

{إِنَّا} تعظيم عظم الرب جل وعلا نفسه

{كُلَّ شَيْءٍ} كل هذه من صيغ العموم، يعني من المخلوقات علوية أو سفلية {خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ} أي بتقدير سابق لخلقنا له، وذلك بالعلم أولاً، ثم الكتابة، ثم المشيئة، ثم الخلق وهو يقع كما كتب في وقته بتقديره. وجاء في حديث مسلم: «كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة».

انتهت المحاضرة السابعة

تفريغ المحاضرة الثامنة في العقيدة: الأصول الثلاثة

يوم الخميس الموافق 13-9-2018

بشرح فضيلة الشيخ الاستاذ الدكتور/ طلعت زهران- حفظه الله
الدورة النسائية -مصر-الاسكندرية - العصابة - جامع الامام مسلم

تابع الاصل الثاني : الاحسان

الإحسان في اللغة مشتق من الحُسْن، ويطلق على الإتقان والإجادة.
والإحسان نوعان إحسان في عبادة الخالق وهو المراد هنا في هذه المرتبة، وإحسان في حقوق الخلق، وهو نوعان: إحسان واجب، وإحسان مستحب. (الإحسان رُكْنٌ وَاحِدٌ) نهاية الإخلاص من حيث الباطن، ومن حيث الظاهر كمال المتابعة. أي بتحقيق شرطي العبادة، الإخلاص والمتابعة.

فهو ركن واحد، لكنه مرتبتان في نفسه:

الأولى «أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ»: هذه ما يسميه البعض بمرتبة الاستحضار، فتستحضر في عبادتك أنك بين يدي الله تعالى. فتقوم بهذه العبادة على حالٍ وهيئةٍ (كَأَنَّكَ تَرَاهُ) وتشاهده، فبيعتك ذلك على كمال الإخلاص لله عز وجل، وعلى كمال المتابعة بأن تتقن العبادة على وجهها وتحسن أداؤها.

والعظمى وهي درجة المراقبة: «فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ» وهذه مرتبة الإطلاع، يعني إن لم تستحضر أنك ترى معبودك ها، ففاتك هذا المشهد حينئذ تستحضر أنك لن تغيب عنه البتة، فالله تعالى مطلع عليك.

والدليل قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} النحل آية: 128.
هذا الدليل يشمل المرتبتين لأنه أطلق قال: {وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ} محسنون في طاعة ربهم في العمل - يعني من حيث الاستحضار ومن حيث الإطلاع. وهذه معية خاصة؛ تقتضي مع اطلاعه عليهم، لا يفوته شيء من أحوالهم، نصرهم وتأييدهم ونحو ذلك.

وقوله: {وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ} الشعراء آية: 217-218-219-220 وقوله: {وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ}. يونس آية: 61 وَتَوَكَّلْ: يعني في جميع أمورك، {عَلَى الْعَزِيزِ} القوي الذي لا يغلب {الرَّحِيمِ} بالمؤمنين {الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ} هذا محل الشاهد يعني متهجداً في صلاتك، {وَتَقْلُبُكَ} هو الركوع والسجود والقيام فهو معك يسمع ويرى.

{فِي السَّاجِدِينَ} أي مع المصلين {إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ} لأقوال عباده العليم بحركاتهم وسكناتهم.

{وَمَا تَكُونُ} يا محمد {فِي شَأْنٍ} في عملٍ من الأعمال وفي حالٍ من الأحوال {وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ} يعني نازلٍ {وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ} عمل القلب والجوارح واللسان أنت وأمتك {إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا} أي مشاهدين لكم {إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ} أي إذا شرعتم فيه - والله عز وجل شاهدٌ عليكم.

والدليل من السنة حديث جبرائيل المشهور عن عمر رضي الله عنه قال: "بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ طلع علينا رجل، شديد بياض الثياب، شديد سواد الشعر، لا يُرى عليه أثر السفر، ولا يعرفه منا أحد، حتى جلس إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فأسند ركبتيه إلى ركبتيه، ووضع كفيه على فخذيه، وقال: يا محمد! أخبرني عن الإسلام. قال: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً. فقال: صدقت. فعجبنا له يسأله ويصدق. قال: فأخبرني عن الإيمان. قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره. قال: صدقت. قال: فأخبرني عن الإحسان. قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك. قال: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل. قال: فأخبرني عن أماراتها. قال: أن تلد الأمة ربتها، وأن ترى الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البنيان. قال فمضى، فلبثنا ملياً. فقال: يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم. قال: هذا جبرائيل أتاكم يعلمكم أمر دينكم".

(وَالدَّلِيلُ) العام الجامع لمراتب الدين الثلاثة

(حَدِيثُ جَبْرَائِيلَ) الْمَشْهُورُ عَنْ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَهُوَ فِي الصَّحِيحِينَ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ، وَأَحْمَدَ وَغَيْرِهِ مِنْ حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ. وَهُوَ حَدِيثٌ عَظِيمُ الشَّأْنِ جَلِيلٌ يَشْتَمِلُ عَلَى بَيَانِ الدِّينِ كُلِّهِ.

«مَا الْمَسْئُولُ عَنْهَا بِأَعْلَمَ» فَإِنَّهَا مِمَّا اسْتَأْثَرَ اللَّهُ بِعِلْمِهِ كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ﴾ [لقمان: 34]، وَفِي الْحَدِيثِ: «مِفَاتِيحُ الْغَيْبِ خَمْسٌ لَا يَعْلَمُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ»، قَالَ: «وَلَا يَعْلَمُ مَتَى تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا اللَّهُ».

يَتَطَاوَلُونَ فِي الْبَيَانِ: بِمَعْنَى تَكَثُّرِ طَبَقَاتِ الْبَنِيَانِ، وَالْمَعْنَى أَنَّ هَؤُلَاءِ فِي آخِرِ الزَّمَانِ يَقْوَى أَمْرُهُمْ وَتَكْثُرُ أَمْوَالُهُمْ فَيَتَطَاوَلُونَ فِي الْبَنِيَانِ تَفَاخُرًا عَلَى بَنِي قَوْمِهِ.

«هَذَا جِبْرِيلُ أَتَاكُمْ يُعَلِّمُكُمْ أَمْرَ دِينِكُمْ». أَطْلَقَ النَّبِيُّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - الدِّينَ عَلَى هَذِهِ الْمَرَاتِبِ الثَّلَاثِ.

انتهت المحاضرة الثامنة

تفريغ المحاضرة التاسعة في العقيدة: الأصول الثلاثة

يوم الخميس الموافق 20-9-2018

بشرح فضيلة الشيخ الاستاذ الدكتور/ طلعت زهران- حفظه الله
الدورة النسائية -مصر-الاسكندرية - العصابة - جامع الامام مسلم

الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم

وهو: محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم، وهاشم من قريش وقريش من العرب،
والعرب من ذرية إسماعيل بن إبراهيم الخليل عليه وعلى نبيي أفضل الصلاة والسلام. وله من
العمر ثلاث وستون سنة. منها أربعون قبل النبوة، وثلاث وعشرون نبيا رسولا. نُبِّيَ ب {أَقْرَأُ}
وَأُرْسِلَ بِالْمَدَنِّ، وبلده مكة، وهاجر إلى المدينة. بعثه الله بالندارة عن الشرك ويدعو إلى
التوحيد،

وله عدة أسماء؛ فعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ أَنَّ النَّبِيَّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ،
وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي يُحْيِي بِي الْكَفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحْشَرُ النَّاسُ عَلَى عَقْبِي،
وَأَنَا الْعَاقِبُ، وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ» ق.

وأشهرها هو محمد ومعناه الذي يُحْمَدُ أَكْثَرَ مِمَّا يُحْمَدُ غَيْرُهُ، وهو عَلَمٌ مُشْتَقٌّ مِنَ التَّحْمِيدِ وَلَمَّا
فِيهِ مِنَ الْخِصَالِ الْحَمِيدَةِ.

ولقبه أبو القاسم.

وقال أبو سفيان لهرقل لما سأله: كيف هو فيكم؟ قال: هو فينا ذو نسبٍ. قال: وهكذا الرسل
تبعث في أنساب قومها. يعني: في أكرمها أحسابًا.

فهو هاشمي قرشي عربي.

(لَهُ مِنَ الْعُمُرِ ثَلَاثٌ وَسِتُّونَ سَنَةً) عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: تَوَفَّى النَّبِيَّ -
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وَهُوَ ابْنُ ثَلَاثٍ وَسِتِّينَ. ق

(مِنْهَا أَرْبَعُونَ قَبْلَ النَّبُوءَةِ، وَثَلَاثٌ وَعِشْرُونَ نَبِيًّا وَرَسُولًا)

نُبِّيَ بِ {أَقْرَأُ} وَأُرْسِلَ بِ {الْمَدَنِّ}

عن عائشة رضي الله عنها: "جاءه الحق وهو في غار حراء فجاءه الملك فقال له: اقرأ. فقال النبي - صلى الله عليه وسلم - : «ما أنا بقارئ» فذكر الحديث وفيه ثم قال: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق: 1] إلى قوله: {عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ} [العلق: 5] حينئذٍ (نُبِّئَ بِ {اقْرَأْ}) أي بصدرها (وَأُرْسِلَ) أي بعث (بِ {الْمُدَّثِّرُ})، سئل النبي - صلى الله عليه وسلم - عن فترة الوحي فقال في حديثه: «فيما أنا أمشي إذ سمعت صوتاً من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض فرجعت فقلت: زملوني، زملوني فذرني فأنزل الله {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر: 1].

(وَبَلَدُهُ مَكَّةُ) يعني التي وُلِدَ بها ولد فيها ونشأ بها، ثُمَّ أَرْضِعَ فِي بَنِي سَعْدٍ عِنْدَ مَرْضَعَةٍ تَسْمَى حَلِيمَةَ السَّعْدِيَّةِ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَى مَكَّةَ عِنْدَ جَدِّهِ عَبْدِ الْمَطْلَبِ، ثُمَّ بَعْدَ وَفَاتِهِ عِنْدَ عَمِّهِ أَبِي طَالِبٍ، مَاتَتْ أُمُّهُ آمَنَةُ بِنْتُ وَهَبٍ وَعُمُرُهُ سِتُّ سِنِينَ وَبَقِيَ بِمَكَّةَ ثَلَاثَ عَشْرَةَ سَنَةً بَعْدَ الْوَحْيِ، ثُمَّ هَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ.

(وَهَاجَرَ إِلَى الْمَدِينَةِ) بعد أن هموا بقتله - صلى الله عليه وسلم - فتغيب في الغار، ثم سار هو وأبو بكر مهاجرين إلى المدينة.

والدليل قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ} فَمَنْ فَانْزِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} 1 ومعنى {قُمْ فَأَنْذِرْ} 2، ينذر عن الشرك ويدعو إلى التوحيد. {وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} 3، أي: عظمه بالتوحيد. {وَتِيَابَكَ فَطَهِّرْ} 4، أي: طهر أعمالك عن الشرك. {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} 5، المدثر آية: 1-2-3-4-5-6-7 الرجز بالأصنام، وهجرها تركها، والبراءة منها وأهلها.

{الْمُدَّثِّرُ} أي المدثر بثيابه متغشي بها من الرعب الذي حصل له من رؤية الملك عند نزول الوحي

{قُمْ فَأَنْذِرْ} يعني فأنذر الناس وخوفهم وحذرهم من عذاب الله تعالى إن لم يؤمنوا، وبهذا حصل الإرسال كما حصل بالأول النبوة.

{فَكَبِّرْ} أي عَظَّمْ رَبَّكَ بالتكبير وبغيره

{وَتِيَابَكَ فَطَهَّرَ} أي نفسك طهرها عن الذنوب، كُنَى عن النفس بالثوب لأنها تشتمله، وقال بعضهم على ظاهرها: ثيابك التي هي الثياب الملبوسة وطهرها عن النجاسات.

{وَالرُّجْزَ فَاهْجُزْ} أي اترك الأوثان ولا تقربها {وَالرُّجْزَ} هو القذر من الرِّجْس كما قال تعالى: {فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ} [الحج: 30]

{وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} [المدثر: 6]، أي لا تُعطي مالك مصانعةً لتُعطي أكثر منه.

أو {لَا تَمْنُنْ} على الله بعملك وتستكثره، أو لا تضعف أن تستكثر من الخير.

{وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} على طاعته وأوامره وعلى الأذى فيه من أجل الدعوة.

أخذ على هذا عشر سنين يدعو إلى التوحيد. وبعد العشر عُرج به إلى السماء، وفرضت عليه الصلوات الخمس، وصلى في مكة ثلاث سنين، وبعدها أمر بالهجرة إلى المدينة.

أَخَذَ عَلَى بَيَانِ التَّوْحِيدِ والدعوة إليه وبيان الشرك والإنذار عنه في مكة.

وَأُسْرِيَ بجسده وروحه جميعاً من المسجد الحرام على البراق إلى بيت المقدس يقظةً لا مناماً، ثم صعد به جبرائيل عليه السلام إلى السماء على المعراج وهو المصعد الذي تصعد فيه الملائكة، كلما مرَّ بسماء وتلقاه مقربوها حتى جاوزهم إلى سدة المنتهى، فبلغ من الارتفاع والعلو إلى ما الله به عليم، ودنا من الجبار جل جلاله، وكلمه بلا واسطة، فأوحى إليه ما أوحى.

فرض الله تعالى عليه على عبده محمدٍ وعلى أمته، وكان أول فرضها خمسين صلاةً ولم يزل يتردد بين موسى وربه حتى وضعها إلى خمسٍ، فهي خمسٌ وهن خمسون في الميزان.

(وَصَلَّى فِي مَكَّةَ) بعد أن فرضت عليه الصلاة (ثَلَاثَ سِنِينَ) حينئذٍ يكون الإسراء قبل الهجرة بثلاث سنين، وقيل: بخمسٍ، وقيل: سنة، وقيل: نصف سنة.

والصحيح كما هو ظاهر السنة أنه بثلاث سنين لكن تحديده في الشهر أو في اليوم هذا غير معلوم.

(وَبَعْدَهَا) يعني بعد الثلاث عشرة سنة من بعثته (أَمَرَ) بالهجرة. قال ابن عباس، رضي الله عنهما: "بُعث رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لأربعين سنة، فمكث بمكة ثلاث عشرة سنة يوحى إليه، ثم أمر بالهجرة فهاجر عشر سنين، ومات وهو ابن ثلاث وستين".

و (الهِجْرَة) مفارقة المشركين ومساكنهم المشركين بحيث يتمكنون من إظهار دينهم، إلى (المَدِينَة) اختارها الله عز وجل مهاجراً لنبي - صلى الله عليه وسلم.

(وَالهِجْرَة) في الشرع (الانتقالُ مِنْ بَلَدِ الشَّرْكِ إِلَى بَلَدِ الْإِسْلَامِ) وبلد الشرك هو الذي تقام فيه شعائر الكفر ولا تقام فيه شعائر الإسلام كالأذان والصلاة جماعةً والأعياد والجمعة على وجه شامل، يعني لا على فرقةٍ أو طائفةٍ دون آخرين، بل يكون الأمر عامّاً في البلد، وأما إذا أقامه البعض المسلمين كالأقليات الموجودة في بعض بلاد الغرب هذا لا يُوحى أو يُحكم على البلد بأنها مسلم لوجود الأذان والشعائر، وإنما المراد بها على وجه العموم.

والهجرة: الانتقال من بلد الشرك إلى بلد الإسلام؛ والهجرة فريضة على هذه الأمة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام، وهي باقية إلى أن تقوم الساعة.

(فَرِيضَةٌ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ) أي ثابتة على أمة الإجابة بالكتاب والسنة والإجماع.

(وَهِيَ بَاقِيَةٌ إِلَى أَنْ تَقُومَ السَّاعَةُ) يعني إلى قرب قيام الساعة.

والدليل قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَغْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا} النساء آية: 97-

98-99

{الْمَلَائِكَةُ} قيل: المراد به ملك الموت ومن معه من الأعوان.

{ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ} الظلم إنما يقع لترك واجب أو فعل محظور. فهم ظلموا أنفسهم بالإقامة بين أظهر المشركين.

{قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ} أي قالت لهم الملائكة، هذا استفهام إنكارٍ لم مكتتم ها هنا وتركتم الهجرة؟ فهو إنكارٌ وتوبيخٌ وتقريع لهم.

{كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ} أي عاجزين عن الهجرة والذهاب في الأرض

({قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا}) يعني إلى المدينة

{فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا} هذا وعيد

فالهجرة واجبة مع القدرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام.

{إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ} الذين لا يستطيعون الخروج {مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ} {لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً} لا قوة ولا نفقة على الخروج {وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا}، يعني لا يعرفون طريقاً إلى الخروج من مكة إلى المدينة.

{فَأُولَئِكَ} أي المعذورون بترك الهجرة {عَسَى اللَّهُ} عسى للتحقيق هنا أن {يَغْفُو عَنْهُمْ} يتجاوز عنهم {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا غَفُورًا}، {وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا} يعني يتجاوز عن سيئاتهم {غَفُورًا} لمن تاب إليه.

وقوله تعالى: {يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةً فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ} العنكبوت آية: 56 قال البغوي رحمه الله تعالى: سبب نزول هذه الآية في المسلمين الذين بمكة لم يهاجروا، ناداهم الله باسم الإيمان.

(قَالَ الْبَغَوِيُّ) أبو محمد الحسين بن مسعود الفراء رحمه الله تعالى: (سَبَبُ نَزُولِ هَذِهِ الْآيَةِ فِي الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ فِي مَكَّةَ لَمْ يُهَاجِرُوا، نَادَاهُمُ اللَّهُ بِاسْمِ الْإِيمَانِ) وإذا ناداهم باسم الإيمان حينئذ ثبت لهم الإيمان.

والدليل على الهجرة من السنة قوله صلى الله عليه وسلم: "لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة، ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها".

أبو داود: الجهاد (2479) ، وأحمد (99/4) ، والدارمي: السير (2513) .

«لَا تَنْقَطِعُ» الانقطاع: يعني حتى لا تقبل التوبة ممن تاب، فما دامت التوبة مقبولة فالهجرة واجبة بحالها. فإذا طلعت الشمس من المغرب حينئذ لم تقبل توبة فلا هجرة.

إذاً هذه النصوص الثلاث التي أوردها المصنف تدل على أن الهجرة فريضة على أمة الإجابة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام. فكل من لم يتمكن من إظهار دينه والدعوة إليه تُشرع له الهجرة، فإن كان من بلد الشرك إلى بلد إسلام فهي هجرة، وإن لم يكن كذلك فهو واجب لكنه لا يُسمى هجرة، حينئذ لا بد من استفتاء شرطين:

الأول: القدرة، والثاني: عدم التمكن من إظهار دينه.

فإن أمكنه أن يظهر دينه لا تجب، ولكنها تكون مستحبة.

ومن لا هجرة عليه وهو العاجز المستضعف عن الهجرة كالمريض أو المكره فيجب عليه اعتزالهم والصبر على أذاهم.

ولا تُستحب الهجرة على القادر على إظهار دينه.

فلما استقر بالمدينة أمر ببقية شرائع الإسلام، مثل الزكاة والصوم والحج والجهاد والأذان، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وغير ذلك من شرائع الإسلام.

أخذ على هذا عشر سنين وبعدها توفي صلوات الله وسلامه عليه، ودينه باقٍ، وهذا دينه، لا خير إلا دل الأمة عليه، ولا شر إلا حذرنا منه.

الزكاة: فُرِضت في مكة على الصحيح لكن بينت أنصبتها في المدينة.

وَالصَّوْمُ: وفرض في السنة الثانية من الهجرة

(وَالْحَجَّ) في السنة التاسعة

(وَالْجِهَادِ) وهو بذل الوسع في قتال الكفار خاصة.

(وَالْأَذَانَ) شرع في السنة الأولى من الهجرة

(وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ) والمعروف هو ما عرف حسنه شرعاً

(وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ) وهو ما عرف قبحه شرعاً

(وَعَبْرَ ذَلِكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ)

(أَخَذَ عَلَى هَذَا) بيان الشريعة في المدينة (عَشْرَ سِنِينَ، وَبَعْدَهَا تُوفِي - صَلَاةُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ

عَلَيْهِ) يوم الاثنين والمشهور أنه الثاني عشر من شهر ربيع الأول.

(وَدِينُهُ بَاقٍ) موجودٌ باقٍ حواه الكتاب والسنة إذ الدين هو الوحي، مؤيدٌ محفوظٌ إلى يوم

القيامة كما قال عليه الصلاة والسلام: «تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله

وسنتي»

(وَهَذَا دِينُهُ) كل ما سبق دينه

(لَا خَيْرَ إِلَّا دَلَّ الْأُمَّةَ عَلَيْهِ، وَلَا شَرَّ) كان أو سيكون (إِلَّا حَذَرْنَا مِنْهُ).

والخير الذي دل عليه: التوحيد، وجميع ما يحبه الله ويرضاه. والشر الذي حذر منه: الشرك
وجميع ما يكرهه الله ويأباه. بعثه الله إلى الناس كافة. وافترض الله طاعته على جميع
الثقلين: الجن والإنس.

تفريغ المحاضرة العاشرة الاخيرة فى العقيدة: الأصول الثلاثة

يوم الخميس الموافق 5-10-2018

بشرح فضيلة الشيخ الاستاذ الدكتور/ طلعت زهران- حفظه الله
الدورة النسائية -مصر-الاسكندرية - العصابة - جامع الامام مسلم

تابع الأصل الثالث: معرفة نبيكم محمد صلى الله عليه وسلم

(التَّوْحِيدُ، وَجَمِيعُ مَا يُحِبُّهُ اللَّهُ وَيَرْضَاهُ) من الشرائع
(وَالشِّرْكَ الَّذِي حَذَرَهَا مِنْهُ: الشِّرْكُ، وَجَمِيعُ مَا يَكْرَهُهُ اللَّهُ وَيَأْبَاهُ، بَعَثَهُ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ كَافَّةً) يعني
جميعاً العرب والعجم.

(وَأَفْتَرَضَ اللَّهُ طَاعَتَهُ عَلَى جَمِيعِ الثَّقَلَيْنِ: الْحِجْنَ وَالْإِنْسِ) وهذا محل إجماع بين أهل العلم،
وإنما الخلف هل بعث إلى الملائكة أو لا محل نزاع بين العلماء.
والدليل قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعاً} 1، الأعراف آية: 158
وأكمل الله به الدين.

فرسالته عامة للعرب والعجم.

وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال - صلى الله عليه وسلم - : («والذي نفس محمد
بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به
إلا كان من أصحاب النار») وهذا نص واضح قاطع في أن من مات على اليهودية أو
النصرانية وقد بلغه بعثة محمد - صلى الله عليه وسلم - أو الإسلام في الجملة فحينئذ قد
قامت عليه الحجة الرسالية، فإذا مات فهو من أصحاب النار.

(وَأَكْمَلَ اللَّهُ بِهِ الدِّينَ) أصولاً وفروعاً، لا نحتاج إلى دين سواه، فليس فيه نقص بوجه من
الوجوه.

فالشريعة كاملة صالحة لكل زمانٍ ومكان، فمن طعن فيها بأنها لا تصلح في زمنٍ من الأزمان أو في بعض الأمكنة فهو كافر مرتد بإجماع المسلمين.

والدليل قوله تعالى: {الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا}.
المائدة آية: 3

{الْيَوْمَ} أي نزلت هذه الآية في هذا اليوم، عرفة وكان يوم الجمعة، قبل وفاته عليه الصلاة والسلام بثمانين يوماً، وهو واقف بعرفة يخطب الناس.

إذا الدين كامل، والكامل لا يزداد فيه ولا ينقص منه ولا يبدل، «لقد تركتكم على البيضاء ليلها كنهارها لا يزيغ بعدي عنها إلا هالك»

{وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ} يعني إكمال نعمتي بهذا الدين

{وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا} فرضي بما رضى الله تعالى لنا

والدليل على موته صلى الله عليه وسلم قوله تعالى: {إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} الزمر آية: 30-31.

{إِنَّكَ} يا محمد ميت: يعني ستموت، {وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِّن قَبْلِكَ الْخُلْدَ أَفَإِنْ مَتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ} [الأنبياء: 34] {وَأِنَّهُمْ} أي من معك {مَيِّتُونَ} يعني سيموتون كما قال سبحانه: {كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ} [الأنبياء: 35]. ولا شك أن النبي - صلى الله عليه وسلم - نفس من الأنفس حينئذ هي ذائقة الموت.

{ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} إلى الله وتحتكمون إليه في ما أنتم فيه في الدنيا من التوحيد والشرك بين يدي الله تعالى، فيحكم بينهم بالحق.

والناس إذا ماتوا يبعثون. والدليل قوله تعالى: {مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ وَفِيهَا نُعِيدُكُمْ وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ تَارَةً أُخْرَى}. طه آية: 55

{مِنْهَا خَلَقْنَاكُمْ} أي من الأرض خلقناكم كما خلق آدم عليه الصلاة والسلام من تراب {وَفِيهَا} أي في الأرض {نُعِيدُكُمْ} يعني بالدفن بعد الموت، فإذا متم تصيرون إليها فتدفنون بها.

{وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ} بعد إعادتكم فيها

{نُخْرِجُكُمْ تَارَةً} أي مرة أخرى بالبعث يوم القيامة.

وقوله تعالى: {وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ إِخْرَاجًا} ، نوح آية: 17-18 وبعد البعث محاسبون ومجزيون بأعمالهم.

{مَنْ الْأَرْضِ} هذا مبدأ الخلق، خُلِقَ آدم من تراب. وأنبتكم من الأرض إنباتاً {ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا} أي في الأرض إذا متم ودُفِنْتُمْ بها {وَيُخْرِجُكُمْ} منها بالبعث أحياءً للحساب والجزاء، يوم القيامة كما بدأكم أول مرة.

ومن السنة قوله - صلى الله عليه وسلم - : «يحشر الناس يوم القيامة حفاةً غُرلاً». ق، وأجمع المسلمون على ثبوته.

{وَمَجْزِيُونَ بِأَعْمَالِهِمْ} صغيرها وكبيرها.

والدليل قوله تعالى: {لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى} النجم آية: 31.

{لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا} بإساءاتهم من الشرك فما دونه

{وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا} أي وحدوا ربهم وأخلصوا له العبادة.

{بِالْحُسْنَى} أي بالجنة، وهذا مما يتعلق بالإيمان باليوم الآخر.

ومن كذب بالبعث كفر. والدليل قوله تعالى: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ}. التغابن آية: 7

حكم الله تعالى عليهم بالكفر لقولهم: أن لن يبعثوا، قل يا محمد ({بَلَىٰ وَرَبِّي}) هذا قسم بالله تعالى ({لَتُبْعَثُنَّ}) يعني يوم القيامة {ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ} أي: لتخبرن بما عملتم، بجميع أعمالكم صغيرها وكبيرها جليلها وحقيرها، ثم قال سبحانه: {وَنُضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ} [الأنبياء: 47]، {وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ} [التغابن: 7] أي سهل وهينٌ عليه جل في علاه.

وأرسل الله جميع الرسل مبشرين ومنذرين.

والدليل قوله تعالى: {رُسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ}.

النساء آية: 165

من وظائف الرسل أنهم مبشرون ومنذرون. وانقطعت حجة الخلق على الله بإرسال أرسل وإنزال الكتب كما قال سبحانه وتعالى: {فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ} [الانشقاق: 24] يعني إن عصوا ربهم جل وعلا.

وأولهم نوح عليه السلام، وآخرهم محمد صلى الله عليه وسلم. والدليل على أن أولهم نوح عليه السلام قوله تعالى: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ} النساء آية: 163 وكل أمة بعث الله إليها رسولا من نوح إلى محمد يأمرهم بعبادة الله وحده، وينهاهم عن عبادة الطاغوت. والدليل قوله تعالى: {وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ} النحل آية: 36

وأول هؤلاء الرسل نُوحٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وكان بينه وبين آدم عليه السلام عشرة قرون كلهم على الإسلام، فلما حدث الشرك بسبب الغلو في الصالحين أرسل الله عز وجل إليهم نوحًا وهو أول رسولٍ إلى أهل الأرض، (وَأَخْرَهُمْ) أي آخر رسل إلى أهل الأرض (مُحَمَّدٌ - صلى الله عليه وسلم).

ولو كان هناك نبي قبل نوحٍ لذكر في هذه الآية لأنه قال: {إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ}. فلما بدأ بنوح دلّ على أنه أول الأنبياء، ولم يذكر المصنف رحمه الله تعالى دليل على أن خاتم الأنبياء هو محمد - صلى الله عليه وسلم - لوضوحه لأنه يخاطب أمة محمد عليه الصلاة والسلام، والدليل على أنه آخر الأنبياء وخاتمهم قوله تعالى: {مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب: 40] فلا نبي بعده، ومن ادّعى النبوة بعده فهو كاذبٌ كافرٌ مرتد عن الإسلام.

ووظيفة الرسل هي الدعوة إلى عبادة الله تعالى وحده ومجانبة وترك الطاغوت، والدليل قوله تعالى: ({وَلَقَدْ بَعَثْنَا} [النحل: 36]) فالرسالة عمت كل أمة وأن دين الأنبياء واحد، وهو ما أشار إليه بقوله: {أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}، {وَإِنْ مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ} [فاطر: 24] دلّ ذلك على أن دعوة الرسل موحدة وأنها تدعوا إلى شيء واحد وهو عبادة الله

تعالى وحده دون ما سواه. وهذا هو معنى لا إله إلا الله، وهو الذي دلت عليه الآية {اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ}

وافترض الله على جميع العباد الكفر بالطاغوت والإيمان بالله. قال ابن القيم رحمه الله تعالى: الطاغوت ما تجاوز به العبد حده من معبود، أو متبوع، أو مطاع. والطواغيت كثيرة، ورؤوسهم خمسة: إبليس لعنه الله، ومن عبد وهو راض، ومن دعا الناس إلى عبادة نفسه، ومن ادعى شيئا من علم الغيب، ومن حكم بغير ما أنزل الله.

الطاغوت: فَعَلُوت مأخوذ من الطغيان وهو مجاوزة الحد، ومنه {إِنَّا لَمَّا طَغَى الْمَاءُ حَمَلْنَاكُمْ فِي الْجَارِيَةِ} [الحاقة: 11] عرّفه ابن القيم بتعريف جامع مانع.

(مَا تَجَاوَزَ بِهِ) التجاوز هو معنى الطغيان، (حَدَّهُ) أي قدره الذي ينبغي له في الشرع (مِنْ مَعْبُودٍ) مع الله تعالى، قيده بعضهم بأنه أن يكون راضياً

(أَوْ مَتَّبِعٍ) يعني في معاصي الله تعالى من الكهان والسحرة وعلماء السوء ونحوهم (أَوْ مُطَاعٍ) من دون الله في التحليل والتحريم كالحكام والأمراء.

قال شيخ الإسلام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله تعالى: فأما صفة الكفر بالطاغوت فإن تعتقد بطلان عبادة غير الله، وتتركها وتبغضها وتكفر أهلها وتعاديهم.

(وَالطَّوَاعِيتُ كَثِيرُونَ وَرُؤُوسُهُمْ خَمْسَةٌ) يعني: أكبر الطواغيت بالاستقراء خمسة هم أكثر من ذلك لا حصر لهم، لكن خمسة هؤلاء هم الرؤوس:

(إِبْلِيسُ) هذا رأسهم الأكبر (لَعَنَهُ اللَّهُ) اللعن هو الطرد والإبعاد من رحمة الله، وقد سَمَى الله تعالى طاعة إبليس عبادة كما قال سبحانه: {أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَا بَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ} [يس: 60] فيدخل فيه جميع أنواع الكفر والمعاصي {إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ} * وَأَنْ اعْبُدُونِي [يس: 60، 61] فمن أطاع الشيطان ولو في معصية من المعاصي توجه إليه بشيء من العبادة.

(وَمَنْ عُبِدَ وَهُوَ رَاضٍ) يعني: بتلك العبادة الحاصلة من العابد بأي نوع من أنواعها فقلنا: (وَهُوَ رَاضٍ) اشترطه البعض من أجل إخراج الصالحين كالأنبياء وبعضهم عيسى عليه السلام.

(وَمَنْ دَعَا النَّاسَ إِلَى عِبَادَةِ نَفْسِهِ) وتعظيمه وإن لم يعبدوه صار طاغوتًا؛ فإنه من رؤوس الطواغيت سواء أجبب لما دعا إليه أم لم يجب كفرعون، وقال بعضهم: من كان له حاجة فليأت إلى قبري وليستغث بي. وهذا نقول: دعوة إلى عبادة غير الله تعالى.

الرابع: (وَمَنْ ادَّعَى شَيْئًا مِنْ عِلْمِ الْغَيْبِ) المطلق الذي لا يعلمه إلا الله تعالى كالمنجمين والعرافين ونحوهم {قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ} [النمل: 65].

لخامس: والأخير: (وَمَنْ حَكَمَ بِغَيْرِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ) تعالى كما قال سبحانه: {وَمَنْ لَّمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ} [المائدة: 44] وجاء في آية هم الظالمون، وجاء في الثالثة هم الفاسقون.

فإن اعتقد أن حكمه مثل حكم الله تعالى يعني: مساواة حكم غير الله بحكم الله أو أنه أصلح وأنفع للناس هذا كافرًا كافرًا أكبر مرتدًا عن الإسلام، وأما إذا لم يعتقد المثلية ولا الإصلاحية فهذا يكون ظالمًا، وأما إذا حكم بغير ما أنزل الله وهو يعتقد أن حكم الله أصلح وأنفع وأن حكم غيره لا خير فيه ولكن حكم بغيره لهوًا وشهوة فإنه يكون فاسقًا.

والدليل قوله تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} البقرة آية: 256. وهذا معنى لا إله إلا الله، وفي الحديث: "رأس الأمر الإسلام، وعموده الصلاة، وذروة سنامه الجهاد في سبيل الله" الترمذي: الإيمان (2616) ، وابن ماجه: الفتن (3973) ، وأحمد (231/5, 234/5, 237/5, 245/5). والله أعلم. وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم.

والدليل على وجوب الكفر بالطاغوت

{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} يعني لا تكرهوا أحدًا على الدخول في الإسلام

{قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} الإسلام واضح وهو حق وإنما يراد منه أن يدخل فيه بإرادته واختياره. {الْغَيِّ} هو الضلال.

{فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ} هذا معنى لا إله إلا الله {فَقَدْ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى} أي بالتوحيد، فهو العروة الوثقى، وأمسك أي: أخذ به وتعلق واعتصم، والعروة الوثقى القوية

التي لا تنفك ولا تنفصم، العروة موضع شد اليد، والوثاق تأنيث الأوثق وهي القوة التي لا تنفك.

«رَأْسُ الْأَمْرِ» أي الدين (الإِسْلَامُ، وَعَمُودُهُ الصَّلَاةُ) هذا فيه عظم شأن الصلاة، وأنها من الدين بهذا المكان العظيم فهو أن مكانها من الدين مكان العمود من الفسطاط.

ذُرْوَةُ الشَّيْءِ أعلاه وذُرْوَةُ البعير سنامه وهو أعلاه وأرفعه. (الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) دل على أن الجهاد أعلى شيء في الدين لأنه بذل للنفس.

الحديث أخرجه أحمد وابن ماجه والترمذي وقال: حسن صحيح

تم بفضل الله تعالى مقرر الاصول الثلاثة بمحاضرة العاشرة